

كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى

عرضاً ودراسةً

د . محمد بن خالد الفاضل *

ترجمة موجزة لأبي عبيدة ^(١) :

هو : أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى التيمي (بالولاء) نسبة إلى تيم قريش ويلقب بـ (سُبُّخْت)، وهو لقب كرية ينفر منه أبو عبيدة. ولد في سنة (١١٠هـ)

(١) لمزيد من التفصيل في ترجمة أبي عبيدة ، انظر : المعارف لابن قتيبة ، ١٦٧ ، ومراتب النحويين ٧٦ ، والأغاني ١٧ / ١٩ ، وأخبار النحويين ٥٢ ، والفهرست ٧٩ ، وطبقات النحويين للزبيدي ١٩٣ ، وتاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٣ ، ومجالس ثعلب ٢ / ٢٢٤ ، والبيان والتبيين ١ / ٣٤٧ ، ٢ / ٢١٤ ، والحيوان ٣ / ٤٠٢ ، ونور القبس ١٠٩ ، ونزهة الألباء ١٠٤ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٨٣ ، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٤٣ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ١٥٦ ، وإشارة التعيين ١٠٧ ، وطبقات النحويين لابن قاضي شهبة ٢ / ٢٥٠ ، ومفتاح السعادة ٩٣ ، ومقالات الإسلاميين ١ / ١٩٨ ، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩٥ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢ / ٣٢٧ ، وضحى الإسلام ٢ / ٣٠٤ ، وتاريخ الأدب لبروكلمان ٢ / ١٤٢ ، ومجلة الكاتب المصري مجلد ٢ / عدد ٦ (مقال للدكتور طه الحاجري / حول أبي عبيدة) وعدد ٧ أيضاً ، ومجلة كلية آداب الإسكندرية مجلد ٥ لعام ١٩٤٩م ، والبلاغة العربية في دور نشأتها ٧٨ ، ونوادر المخطوطات ٧ / ٣٣٠ ، والعصر العباسي الأول ٧٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٤٠ ، وكتاب الأصمعي لأحمد زكي ٣٣١ ، والأعلام ٨ / ١٩١ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٣١٠ .

* بكالوريوس في اللغة العربية من كلية اللغة العربية بالرياض ، جامعة الإمام ١٣٩٣هـ .

- ماجستير في النحو والصرف من كلية اللغة العربية ١٤٠٢هـ .

- دكتوراه في النحو والصرف من كلية اللغة العربية ١٤٠٦هـ .

- عضو هيئة التدريس في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .

(على الأرجح) ، ونشأ في البصرة وكان ينسب إليها فيقال (البصري) ، ورحل إلى بغداد عدة مرات ، ويذكر المؤرخون له رحلتين أخريين : إحداهما إلى فارس والأخرى إلى دمشق . وتوفي في سنة (٢٠٩هـ) (على الراجح) أيضاً ، إذ الاختلاف كبير في سنة ولادته وسنة وفاته .

وقد عاش - رحمه الله - قرناً كاملاً ، وكان سليط اللسان لم يسلم أحد من لسانه ، ولذا فقد كثر مبعضوه واتهم بعدة تهم منها أنه من الخوارج ، وأنه شعوبي ، كما اتهم في أخلاقه ، وفي دينه . لكن هذه التهم لا تصمد أمام التحقيق العلمي ، ففي سيرته وفي توثيق بعض العلماء الثقات له ما يدحضها . وقد تتلمذ أبو عبيدة على جمع من الشيوخ منهم : أبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر ، وأبو الخطاب الأخفش ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب وغيرهم ، وتتلذذ عليه جمع من العلماء منهم : التوزي ، والمازني ، والزيادي ، والرياشي ، وأبو حاتم ، والجرمي ، والجاحظ ، وابن هشام صاحب السيرة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، والخليفة الرشيد وغيرهم .

أما مؤلفاته فإنها كثيرة جداً أوصلها بعض العلماء إلى مائتين ، وقد تتبعتها وحصرت منها أسماء مائة واثنين وثلاثين كتاباً ، وذلك في دراستي المفصلة لأبي عبيدة في بحث الماجستير ، وهي دراسة مفصلة في مجلدين ، أفردت فيها حياة أبي عبيدة ومؤلفاته بأكثر من مائة وثمانين صفحة ، وناقشت فيها كل التهم الموجهة له كما عرضت فيها لنسبه ولقبه وتحديد سنة ولادته ووفاته وشيوخه وتلاميذه بتفصيل كبير (٢) .

(٢) هذه الرسالة قدمت لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ونوقشت في عام ١٤٠١هـ ولم تنشر بعد ، وعنوانها : (أبو عبيدة ودراساته النحوية في كتابه : مجاز القرآن) .

(تفصيل القول في كتابه : مجاز القرآن)

يُعَدُّ هذا الكتاب - بحق - أعظم كتب أبي عبيدة التي وصلتنا وأجودها وأصحها وأغناها مادة، وأقدرها على تصوير شخصية أبي عبيدة والدلالة على غزارة علمه وسعة باعه في علم اللغة والغريب والشعر وغيرها مما حواه هذا الكتاب. ويتميز عن غيره من كتب أبي عبيدة بسعة شهرته بين العلماء قديماً وحديثاً، وبإجماع العلماء - سلفاً وخلفاً - على صحة نسبته لأبي عبيدة وثبوته له.

وسأتحدث عنه من خلال سبع فقرات وهي :

أ - سبب وضعه وزمانه .

ب - ترتيبه بين نظائره .

ج - تحقيق عنوانه

د - معنى العنوان ومدلوله .

هـ - منهجه فيه .

و - موقف العلماء منه .

ز - أثره فيمن جاء بعده .

* * *

أ - سبب وضعه وزمانه :

أجمع مؤرخو^(٣) أبي عبيدة - على غير عادتهم - على سبب تأليف (المجاز) وزمانه وتناقلوا في ذلك القصة المشهورة في هذا الشأن وسأوردها برواية الخطيب البغدادي .. يقول البغدادي :

(٣) انظر في ذلك : تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٣ ، ونزهة الألباء ١٠٧ ، ومعجم الأدباء ١٩ / ١٥٨ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٧٧ ، وغيرها من كتب التراجم والطبقات .

«قال محمد بن يحيى الصولي : إسحاق بن إبراهيم (الموصلي) هو الذي أقدم أبا عبيدة من البصرة .. سأل الفضل بن الربيع أن يقدمه ، فورد أبو عبيدة في سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨هـ) بغداد ... وحدث التوزي (تلميذ أبي عبيدة) عن أبي عبيدة ، قال : أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه ، فقدمت عليه - وكنت أُخْبِرُ عن تجربته - فأذن لي فدخلت (وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقي عليها إلا على كرسي وهو جالس عليها) ، فسلمت عليه بالوزارة ، فرد وضحك إلي ، واستدنانني حتى جلست معه على فرشه ، ثم سألني وألطفني وباسطني ، وقال : أنشدني ، فأنشدته من عيون أشعار أحفظها جاهلية ، فقال لي : قد عرفت أكثر هذه ، وأريد من ملح الشعر ، فأنشدته فطرب وضحك وزاد نشاطه ، ثم دخل رجل في زي الكُتَّاب له هيئة ، فأجلسه إلى جانبي ، وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة ، أقدمناه لنستفيد من علمه ، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا ، وقال لي : إن كنت إليك لمشتاقاً ، وقد سئلت عن مسألة ، أفتأذن لي أن أعرفك إياها ، قلت : هات ، قال : قال الله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٤) وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله ، وهذا لم يعرف ؛ فقلت : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنِيَابِ أَغْوَالِ^(٥)

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنه لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به ، فاستحسن

(٤) سورة الصافات ٣٧ / ٦٥ .

(٥) ديوانه ص ٣٣ .

الفضل ذلك ، واستحسنه السائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز، وسألت عن الرجل ، فقل لي : هو من كُتاب الوزير وجلسائه يقال له: إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب العبرتائي»^(٦).

هذه هي قصة الكتاب ، وفيها سبب وضعه ، وهو سؤال كاتب الوزير الذي حرك أبا عبيدة وأشعره بمسؤوليته تجاه العلم وتجاه الناس وضرورة تبليغ هذا العلم وإيصاله إليهم، فعزم على تأليف هذا الكتاب ، أما زمان التأليف فهو فور عودته من هذه الرحلة إلى البصرة كما يدل على ذلك نص القصة ، أي أنه بدأ في تأليفه في هذا العام (١٨٨هـ) والله أعلم متى فرغ منه .

ب - ترتيب (المجاز) بين نظائره :

يشدد حرصي وتلهفي إلى معرفة أكيدة وقاطعة ، أطمئن إليها فيما يتعلق بترتيب كتاب أبي عبيدة ومكانه من حيث التسلسل التاريخي بين نظائره من الكتب ، ولكنني - بعد أن ضحيت بجهد ووقت كبيرين - تأكدت من أنني أمارس ضرباً من المحال لسببين مهمين هما :

الأول : الاضطراب الكبير الواقع في عناوين هذه الكتب المتماثلة ، فتجد بعضهم يسميها كتب - (غريب القرآن) ، والبعض الآخر يسميها كتب : (معاني القرآن) ، وهناك من يسميها كتب (مجاز القرآن) . مع أنها في نظري كلها عناوين متماثلة متداخلة ، بدليل أن كتاب أبي عبيدة الذي بين أيدينا ، أعطيت له هذه العناوين الثلاثة وإذا به كتاب واحد^(٧) ، ونجد مثل ذلك في

(٦) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٤ .

(٧) انظر : (مقدمة تحقيق المجاز) ص ١٧ ، ١٨ .

كتاب (معاني القرآن) للفراء، فمع أنه معروف بهذا الاسم ومطبوع ومتداول به، نجد من يسميه : (تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه)^(٨) . وفي هذا الإطار - أيضاً - يذهب محققو كتاب (معاني القرآن) للفراء - عند حديثهم في مقدمته -^(٩) إلى أن أبا عبيدة هو أول من صنف في (معاني القرآن) فيرد عليهم الأستاذ عبدالعال مكرم رداً خالياً من التثيت بقوله :^(١٠) «وهذا خطأ بين ، فإن أبا عبيدة أول من صنف في غريب القرآن» . ولو أردنا أن نرد عليه من منطلقه لقلنا إن ما قاله هو الخطأ البين لأن أبا عبيدة هو أول من صنف في «مجاز القرآن»، ولكنني أعود لأكرر أنني أرى أن (المجاز) و(الغريب) و(المعاني) في عرف التأليف في ذلك العصر ، أسماء ومصطلحات لشيء واحد. وقد نص على مثل ذلك الأستاذ سيد صقر^(١١) .

الثاني : الاضطراب الحاصل في تواريخ وفيات العلماء الذين لهم كتب في هذا المجال في ذلك العصر، ومثله بقية أمور حياتهم، ولو عرفنا زمن الوفاة بشكل دقيق أو تقريبي ، لصعب الجزم بتحديد سنة تأليف الكتاب ، ولولا قصة أبي عبيدة المشهورة لما عرفنا تاريخ تأليفه لكتابه وبخاصة عندما نعلم أنه عاش قرابة مائة سنة فما بين الثلاثين إلى المائة مظنة لتأليف الكتاب . ومثله الفراء، فلولا قصته مع وزير الحسن بن سهل^(١٢) لما عرف زمن تأليفه لكتابه.

(٨) رواه بهذا الاسم : محمد بن الجهم عن الفراء (رواية اللغة ١٨١) .

(٩) معاني الفراء ، ص ١٢ .

(١٠) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٢٥٠ .

(١١) انظر مقدمته لتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ج .

(١٢) يروي ثعلب : أن عمر بن بكير وزير الحسن بن سهل طلب من الفراء أن يؤلف له هذا الكتاب (طبقات الزبيدي ١٤٤) .

ولكن، ومع هذه الصعوبات فلا بد أن أحاول وأدلي بدلوي في هذا الموضوع مع علمي - مسبقاً - بأن النتائج ظنية لا يقينية ، ولكن ما سنتوصل إليه مهم جداً ، إذ به نعرف هل تأثر أبو عبيدة بمن سبقه فنسج على منوالهم ؟ أو أنه مبتكر مجدد في هذا المجال .

وفيما يلي بيان بأسماء من سبقه من العلماء في ذلك مرتبين حسب الأولوية في نظري.

أولاً : عبدالله بن عباس ^(١٣) (رضي الله عنهما) (- ٦٨ هـ) : يتفق المؤرخون على أن ابن عباس لم يضع بنفسه في حياته كتاباً بهذا الاسم (غريب القرآن) وإنما جاء من بعده ^(١٤) فجمعوا الآيات التي تناولها وفسر غريبها ، وأشهر ذلك : ما عرف بصحيفة ابن أبي طلحة ^(١٥) ، وكذلك مسائل نافع بن الأزرق ^(١٦) المائة التي سأل عنها ابن عباس وأجابه عنها مستشهداً على كل آية ببيت من الشعر . وقد جمع السيوطي ^(١٧) ذلك وحرر القول فيه ، كما أخرجه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب باسم (معجم غريب القرآن) مستخرجاً من صحيح البخاري ، من طريق ابن أبي طلحة (صاحب الصحيفة) . وملحقاً

(١٣) عبدالله بن عباس : (٣ ق هـ - ٦٨ هـ) : هو : عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد في مكة ولازم رسول الله ﷺ وروى عنه الحديث، وكان حافظاً ، سكن الطائف ومات بها (الأعلام ٤ / ٢٢٨).

(١٤) المعجم العربي ١ / ٣٩ .

(١٥) ابن أبي طلحة : هو علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي بالولاء . قيل إن أصله من الجزيرة ثم انتقل منها إلى حمص وعاش بها بقية حياته ويكاد يجمع مؤرخوه على أنه لم يرو عن ابن عباس مباشرة وإنما بواسطة شخص بينهما ، فليل الواسطة مجاهد وقيل عكرمة . وانظر غريب ابن عباس .

(١٦) الكامل للمبرد ٣ / ٢٢٢ فما بعدها .

(١٧) الإتيقان ١ / ١١٥ إلى ١٣٤ .

به مسائل نافع بن الأزرق ، وقدم له بمقدمة فيها تحقيق وتوثيق لكل ذلك .
 فمن اعتد بكتاب ابن عباس هذا جعله هو أول من صنف في الغريب^(١٨) ،
 ومن لم يعتد جعل الأوليّة لمن جاء بعده ، لكن العلماء لم يتفقوا على رأي في
 الحكم بالأوليّة لمن بعده ، فالسيوطي^(١٩) يرى أن « أول من صنف في غريب
 القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى ، أخذ ذلك من أسئلة نافع بن الأزرق لابن
 عباس » . فلم يعتبر عمل ابن عباس كتاباً فأعطى الأوليّة لأبي عبيدة ،
 وتخطى كثيرين غيره - كما سيأتي - ومن أعطى الأوليّة لأبي عبيدة - غير
 السيوطي - من المحدثين كل من : الأستاذ بدوي طبانة^(٢٠) والأستاذ
 محمد عبدالغني حسن^(٢١) والأستاذ حفني شرف^(٢٢) والأستاذ محمد حسن
 عبدالله^(٢٣) والأستاذ فائز فارس^(٢٤) . ولكن الأمر على غير ما قالوا ،
 وكلامهم تنقصه الدقة ، ولو أنهم قالوا إن أقدم كتاب وصل إلينا هو كتاب أبي
 عبيدة لكان هذا القول مقبولاً منهم قبل أن يظهر كتاب الأخفش ، أما وقد ظهر
 - حديثاً - فإن الأمر فيه - أيضاً - نظر سائبينه قريباً .
 هذا ما قرره هؤلاء العلماء في هذا الأمر ، وعندني أن الأوليّة - كما ذكرت -
 لابن عباس ، ثم تلاه - في نظري :

(١٨) المعجم العربي ١ / ٣٩ .

(١٩) الوسائل : ص ١١٢ ، وكتاب (القرآن وأثره ... لعبدالعال مكرم ٢٣٤) .

(٢٠) البيان العربي ١٧ .

(٢١) مقدمة كتاب تلخيص مجازات القرآن ، ص ٥ .

(٢٢) مقدمة كتاب بديع القرآن ، ص ٤٥ .

(٢٣) كتاب مقدمة في النقد الأدبي ٢٩٦ .

(٢٤) مقدمة كتاب معاني القرآن للأخفش ، ص ٥٥ .

ثانياً : أبان بن تغلب البكري^(٢٥) (- ١٤١هـ) : وقد ذكر ياقوت كتابه بقوله^(٢٦) : « صنف كتاب الغريب في القرآن ، وذكر شواهد من الشعر ... » .
ومن نص على أولية أبان في ذلك : الأستاذ سيد صقر^(٢٧) والأستاذ خير الدين الزركلي^(٢٨) وجعله الأستاذ حسين نصار^(٢٩) بعد ابن عباس مباشرة . ولسنا نعرف شيئاً عن كتابه .

ثالثاً : محمد بن السائب الكلبي^(٣٠) (- ١٤٦هـ) : له كتاب حول القرآن ، ولست متأكداً من أنه في غريب القرآن ومعانيه ، ذلك أن ابن قتيبة^(٣١) يراه (تفسيراً) حينما ترجم للكلبي وعرفه بأنه (صاحب التفسير) ، وابن النديم^(٣٢) سماه (تقسيم القرآن) ولعله خطأ مطبعي - وما أكثر أخطاء المطبعية - لأنه ذكر قبل صفحة ما يوحى بأنه في تفسير القرآن وليس في تقسيمه . وأما ياقوت فقد ذكر - استكمالاً لنصه السابق ما يفيد بأن كتاب (الكلبي) مماثل لكتاب (أبان) حيث قال : « و صنف (أي : أبان) كتاب الغريب

(٢٥) أبان بن تغلب (- ١٤١هـ) هو : أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء قارئ لغوي ، ومن غلاة الشيعة ، ومن أهل الكوفة ، وله كتب منها : غريب القرآن ، والقراءات ، (طبقات القراء ١ / ٤ ، والأعلام ١ / ٢٠) .

(٢٦) معجم الأدباء ١ / ١٠٨ .

(٢٧) مقدمة (غريب القرآن لابن قتيبة) ص ب .

(٢٨) الأعلام ١ / ٢٠ .

(٢٩) المعجم العربي ١ / ٣٩ .

(٣٠) محمد بن السائب الكلبي (- ١٤٦هـ) : هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي ، راوية

نسابة عالم بالتفسير والأخبار والأيام ، ولد ومات في الكوفة ، وهو والد هشام المؤرخ المشهور .

(الفهرست ١٣٩ ، والأعلام ٧ / ٣) .

(٣١) المعارف ٥٣٥ .

(٣٢) الفهرست ١٤٠ .

في القرآن ، وذكر شواهد من الشعر ، فجاء فيما بعد عبدالرحمن بن محمد الأزدي الكوفي ، فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب وأبي روق عطية ابن الحارث^(٣٣) . فجعله كتاباً فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه ، فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً ، وتارة يجيء مشتركاً مع ما عمله عبدالرحمن^(٣٤) . ولم أجد من جزم بأن كتاب (الكلبي) في غريب القرآن إلا الأستاذ سيد صقر^(٣٥) . وهذان العالمان (أبان والكلبي) ليس عندي من دليل على أن أحدهما ألف كتابه قبل الآخر ، وإنما قدمت (أبان) استثناساً بتاريخ الوفاة رغم أنها متقاربة يصعب التعويل عليها . ولسنا نعرف شيئاً عن كتابيهما .

رابعاً: يونس بن حبيب (- ١٨٢هـ) : قال ابن النديم^(٣٦) : « له كتاب في (معاني القرآن) صغير وكبير » . أي أنهما كتابان وقد ذكرهما له الزركلي^(٣٧) والدكتور عبدالحميد الشلقاني^(٣٨) ، وعمدتهما في ذلك ابن النديم بالطبع . ولا علم لي بهذين الكتابين .

خامساً : أبو جعفر الرؤاسي^(٣٩) (- ١٨٧هـ) :

(٣٣) لم أعثر لهما على ترجمة فيما بين يدي من المراجع .

(٣٤) معجم الأدباء ١ / ١٠٨ .

(٣٥) مقدمة (غريب ابن قتيبة) ص ج .

(٣٦) الفهرست ٥١ ، ٦٣ .

(٣٧) الأعلام ٩ / ٣٤٤ .

(٣٨) رواية اللغة ١٣٨ .

(٣٩) أبو جعفر الرؤاسي (- ١٨٧هـ) : هو أبو جعفر محمد بن أبي سارة علي الرؤاسي الكوفي ،

أستاذ الكسائي والفراء ، له كتب منها معاني القرآن ، والفیصل ، والوقف والابتداء . (الفهرست ٩٦ ،

والأعلام ٧ / ١٥٤) .

قال ابن النديم ^(٤٠) : « له كتاب معاني القرآن يروى إلى اليوم » وقد ذكره له السيوطي ^(٤١) ، والدكتور زغلول سلام ^(٤٢) والدكتور عبد الحميد الشلقاني ^(٤٣) . ولا أعرف عن الكتاب سوى ما ذكره عنه ابن النديم . ولست بتقديمي (يونس) على (الرؤاسي) أجزم بأن يونس سبق الرؤاسي بالتأليف ، وإنما هو على سبيل التقريب .

سادساً : الكسائي (- ١٨٩هـ) : وموضوع الكسائي يحتاج مني إلى وقفة غير قصيرة ، لأن في وفاته خلافاً كبيراً ، ولا بد من الوصول فيها إلى قول فصل ، لأنه سترتب على ذلك إما تقديمه على أبي عبيدة أو تقديم أبي عبيدة عليه . وكذلك فإن تأليف كتاب الكسائي مرتبط في قصة مشهورة - ستأتي - بتأليف كتاب الأخفش ، فتقديمه على أبي عبيدة يعني تقديم الأخفش بالضرورة ، وفي المقابل هناك قصة أخرى تقتضي تأخير الأخفش عن أبي عبيدة ، لذلك فالموضوع يوحي بما يشبه التضارب . وعسى الله أن يعين على تجلية ذلك :

وفاة الكسائي : ظهر فيها - دون استقصاء دقيق - تسعة أقوال وهي :

(١٨٠هـ - ١٨١هـ - ١٨٢هـ - ١٨٣هـ - ١٨٥هـ - ١٨٩هـ - ١٩٢هـ - ١٩٣هـ - ١٩٧هـ) .

وبيان ذلك فيما يلي :

١ - ورد في المعارف ^(٤٤) قوله : « وكان شخص مع الرشيد إلى (الري) في

(٤٠) الفهرست ٩٦ .

(٤١) بغية الوعاة ١ / ٨٣ .

(٤٢) أثر القرآن في تطور النقد العربي ٣٥ .

(٤٣) رواية اللغة ١٨١ .

(٤٤) المعارف ٥٤٥ .

خرجته الأولى، فمات هناك في السنة التي مات فيها محمد بن الحسن^(٤٥) الفقيه، وكان مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة». ولم يشر إلى أي خلاف في ذلك.

- ٢ - ورد في مراتب النحويين^(٤٦) : مثلما في المعارف تماماً . دون خلاف .
- ٣ - ورد في الفهرست^(٤٧) أنه مات في الري عام ١٩٧هـ عندما كان مع الرشيد ودفن هو وأبو يوسف القاضي^(٤٨) في يوم واحد . وهذا التاريخ مستبعد جداً لأن في الكلام خطأين ، أحدهما : أن الرشيد توفي قبل هذا التاريخ بأربع سنين - كما ذكر في ترجمته - . والثاني : أن أبا يوسف توفي قبل هذا التاريخ بخمس عشرة سنة^(٤٩) . والغريب جداً أن ابن النديم يذكر هذا الكلام عند ترجمته للكسائي، وعندما يترجم لمحمد بن الحسن الفقيه^(٥٠) يذكر أنه مات بالري سنة (١٨٩هـ) في السنة التي مات فيها الكسائي بصحبة الرشيد . وعندما يترجم لأبي يوسف^(٥١) يذكر أنه مات في سنة ١٨٢هـ .

(٤٥) محمد بن الحسن (١٣١ - ١٨٩هـ) : هو أبو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء ، إمام بالفقه والأصول ، أخذ العلم عن أبي حنيفة ، ولد في واسط ، ونشأ بالكوفة وانتقل إلى بغداد ، وصحب الرشيد إلى خراسان فمات في (الري) ، له مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول . (الفهرست ٢٨٧ ، والأعلام ٦ / ٣٠٩) .

(٤٦) مراتب النحويين ١٢١ .

(٤٧) الفهرست ٩٦ .

(٤٨) أبو يوسف القاضي (١١٣ - ١٨٢هـ) : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب أبي حنيفة وتلميذه ، ولد بالكوفة ، وولي القضاء ببغداد مدة طويلة ، وهو أول من لقب بـ (قاضي القضاة) له مؤلفات كثيرة منها : الحراج ، والآثار (الفهرست، ٢٨٦ ، والأعلام ٩ / ٢٥٢) .

(٤٩) انظر : الفهرست ٢٨٦ ، والأعلام ٩ / ٢٥٢ .

(٥٠) الفهرست ٢٨٧

(٥١) الفهرست ٢٨٦ .

- فسبحان الله على هذا التناقض. ولكن لعل في الكلام الأول خطأ مطبعياً.
- ٤ - ورد في نزهة الألباء ^(٥٢) : مات الكسائي ومحمد بن الحسن في سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل ماتا في الري سنة ثنتين وثمانين ومائة وقيل ماتا في الري سنة تسع وثمانين ومائة ودفنهما الرشيد بقرية يقال لها (رنبويه) ^(٥٣)، وقال : اليوم دفنت الفقه واللغة.
- ٥ - ووردت في إنباه الرواة ^(٥٤) : التواريخ الآتية : ١٨٠هـ - ١٨٣هـ ١٨٩هـ. وورد معها أنه مات هو ومحمد بن الحسن بالري في رنبوية بصحبة الرشيد، كما ورد فيه نسان للفراء وثلعب ، يقول الفراء : « لما صار الكسائي إلى (رنبوية) وهو مع الرشيد في سفره إلى خراسان ، اعتل ، فتمثل ببيتين من الشعر ، . وبها مات » .
- ويقول ثعلب : « مات (الكسائي ومحمد بن الحسن) في يوم واحد، ودفنهما الرشيد بقرية اسمها (رنبوية)، وقال : اليوم دفنت الفقه والنحو » .
- ٦ - ووردت في طبقات القراء ^(٥٥) : التواريخ التالية : ١٨١هـ - ١٨٢هـ - ١٨٣هـ - ١٨٥هـ - ١٨٩هـ - ١٩٣هـ ، ولكنه قال : « والصحيح الذي أرّخه غير واحد من العلماء والحفاظ سنة تسع وثمانين ومائة ، صحبه هارون الرشيد بقرية (رنبوية) من عمل (الري) متوجهين إلى خراسان ، ومات معه بالمكان محمد بن الحسن القاضي، فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالري » .

(٥٢) نزهة الألباء ٧٤ .

(٥٣) رنبويه : قال فيها ياقوت : « وهي قرية قرب الري بها مات علي بن حمزة الكسائي النحوي ومحمد ابن حسن الشيباني صاحب أبي حنيفة فدفنا بها ، وكانا خرجا صحبة الرشيد ... » .

(٥٤) إنباه الرواة ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٥٥) طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٥٣٩ - ٥٤٠ .

٧ - ووردت في بغية الوعاة : ^(٥٦) التواريخ التالية ١٨٢ هـ - ١٨٣ هـ -
١٨٩ هـ - ١٩٢ هـ . مع النص على أنه مات بالري هو ومحمد بن الحسن
في صحبة الرشيد .

٨ - واختار صاحب (الأعلام) ^(٥٧) : سنة (١٨٩ هـ) ولم يلتفت إلى غيرها .
هذا عرض موجز لما قيل في وفاته ، وإلى هذا الحد أظنك سلمت معي -
أيها القارئ الكريم - برجحان سنة (١٨٩ هـ) بل بثبوتها ، وإن كنت لازلت في
شك فيجب أن تعلم ما يلي :

أولاً : أن الرشيد - كما هو ثابت تاريخياً - لم يخرج إلى خراسان إلا
مرتين : الأولى : في سنة (١٨٩ هـ) ^(٥٨) وهي هذه التي صحبه فيها الكسائي
ومحمد بن الحسن . والثانية : في سنة ١٩٢ هـ ^(٥٩) وتوفي فيها في مطلع عام
١٩٣ هـ ، ولو كان الكسائي خرج معه في هذه المرة ومات فيها لاشتهر أمر
وفاته لاقتترانه بوفاة الخليفة .

ثانياً : أنه لا خلاف بين العلماء في أن محمد بن الحسن الفقيه القاضي
قد توفي في عام ١٨٩ هـ بالري عندما كان صحبة الرشيد ^(٦٠) .

إذا عرفنا هذا كله نستطيع القول مطمئنين إن الكسائي توفي في سنة
(- ١٨٩ هـ) ، ولسنا بالوصول إلى هذه النتيجة قد استرحنا ، وإنما معرفتنا بها
ألقت علينا تبعة كبيرة ذلك أن كتب التراجم ، كطبقات النحويين واللغويين ^(٦١) ،

(٥٦) بغية الوعاة ٢ / ١٦٤ .

(٥٧) الأعلام ٥ / ٩٣ .

(٥٨) تاريخ الطبري ١٠ / ٩٥ ، والدولة العباسية للخضري ١٠٧ .

(٥٩) تاريخ الطبري ١٠ / ١٠٨ ، ١١٠ ، والدولة العباسية للخضري ١٣٧ .

(٦٠) انظر : المعارف ٥٠٠ - ٥٤٥ ، الفهرست ٢٨٧ ، والأعلام ٦ / ٣٠٩ .

(٦١) الزبيدي ٧٠ .

والفهرست (٦٢) ، ونزهة الألباء (٦٣) ، وإنباه الرواة (٦٤) ، وطبقات القراء (٦٥) ، وبغية الوعاة (٦٦) والأعلام (٦٧) وغيرها كثير تجمع على أن للكسائي كتاباً في (معاني القرآن) ، ومعنى ذلك أن كتاب الكسائي المتوفى في سنة ١٨٩ هـ . أقدم من كتاب أبي عبيدة الذي بدأ بتأليفه بعد سنة ١٨٨ هـ عندما عاد من بغداد إلى البصرة . هذه ناحية ، والناحية الثانية : أن العلماء يذكرون في قصة تأليف الكسائي لكتابه ، أن الأخفش سعيد بن مسعدة يذكر لقاءه بالكسائي ثم يقول (٦٨) : « فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألتني أن أولف له كتاباً في معاني القرآن ، فألفت كتابي في المعاني ، فجعله إماماً ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما » . ففي هذا الكلام - إن صح - دلالة أكيدة على أن الأخفش - أيضاً - سبق أبا عبيدة بالتأليف . وأكاد أسلم بهذا الكلام ، فأحكم بتأخر أبي عبيدة عنهما وسبقهما له ، لولا أنني وجدت ما يعارضه ، فأبو حاتم - تلميذ أبي عبيدة والأخفش - يقول : « كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن ، فأسقط منه شيئاً ، وزاد شيئاً ، وأبدل منه شيئاً ، قال أبو حاتم : فقلت له : أي شيء هذا الذي تصنع ؟ من أعرف بالغريب أنت أو أبو عبيدة ؟ فقال : أبو عبيدة ، فقلت هذا الذي تصنع ليس بشيء ، فقال : الكتاب لمن أصلحه ، وليس لمن أفسده ، قال أبو حاتم : فلم يلتفت إلى

(٦٢) ابن النديم ٥١ - ٩٨ .

(٦٣) الأنباري ٧٠ .

(٦٤) القفطي ٢ / ٢٧١ .

(٦٥) ابن الجزري ١ / ٥٣٩ .

(٦٦) السيوطي ٢ / ١٦٤ .

(٦٧) الزركلي ٥ / ٩٣ .

(٦٨) الزبيدي ٧٠ ، والقفطي ٢ / ٣٧ .

كتابه وصار مطروحاً» ^(٦٩) فبينما يؤكد النص الأول تأخر أبي عبيدة عن الأخفش ، يأتي هذا النص فيؤكد العكس ، لذلك فأنا محتار في التوفيق بينهما وكنت أتمنى أن أتفرغ لبحث هذه المسألة كي أصل فيها إلى قول فصل ، ولكن هذا ليس من شأني في هذه العجالة ، وكنت أتوقع أن يتصدى لذلك أستاذان جليلان تفرغا لدراسة الأخفش ، لكنهما - للأسف - لم يحققا ما تمهيت ؛ أحدهما : الأستاذ عبد الأمير محمد أمين الورد فقد عمل رسالة ماجستير بعنوان (منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية) وطبعها في كتاب متوسط الحجم ، وقد تعرض الأستاذ عبدالأمير لعلاقة أبي عبيدة بالأخفش، وذكر أن الأخفش روى عنه في موضع واحد في مخطوطة ^(٧٠) معاني القرآن، حيث قال ^(٧١) : «وزعم أبو عبيدة أنه سمع لام (لعل) مفتوحة في لغة من يجربها ما بعدها في قول الشاعر :

لعل الله يمكنني عليها جهاراً من زهير أو أسيد ^(٧٢)

إلى آخر النص ، وهذا النص موجود في نسخة معاني الأخفش ^(٧٣) المطبوعة، ولم يرد اسم أبي عبيدة إلا في هذا الموضع، فقد أثبت ذلك المحقق في الفهارس، وتأكدت من ذلك بنفسه قدر الطاقة . ولكن هذه المسألة لا تزيدنا إيضاحاً لأن هذا البيت غير موجود في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ولو

(٦٩) طبقات الزبيدي ٧٤ .

(٧٠) قال هذا الكلام قبل أن يطبع معاني الأخفش .

(٧١) انظر معاني الأخفش ١ / ١٢٣ ، ومنهج الأخفش ... ص ٥٨ .

(٧٢) قائل هذا البيت : خالد بن جعفر العامري ، فارس شاعر جاهلي (له أخبار في خزنة الأدب ٤ /

٣٧٧) والبيت موجود في شرح الكافية للرضي ٢ / ٣٦١ ، وخزنة الأدب ٤ / ٣٧٥ (بولاق) .

(٧٣) معاني الأخفش ١ / ١٢٣ .

كان موجوداً لاتخذناه دليلاً على تقدم أبي عبيدة ونقل الأخفش من كتابه .
وقد جزم الأستاذ عبدالأمير بسبق أبي عبيدة للأخفش في التأليف، وأشار إلى
قصة أبي حاتم - المتقدمة - ولم يعترض على ما فيها من حكم بأسبقية أبي
عبيدة، وإنما اعترض على مضمونها، حيث قارن بين الكتابين ونفى أن يكون كتاب
الأخفش مأخوذاً من كتاب أبي عبيدة لأن مضمونهما مختلف ومتفاوت (٧٤) ،
كما ذكر نصوصاً كثيرة تبين أن أبا حاتم - كما يقول - طعنة لعنة (٧٥) ، لم
يسلم منه حتى شيوخه . وبينما نجد الأستاذ عبدالأمير يسلم بأسبقية أبي
عبيدة ولا يعترض عليها أو يشكك فيها ، نجده في موطن آخر يرجع أن
يكون الأخفش ألف كتابه بين عامي : ١٧٩هـ و ١٨٢هـ (٧٦) .

ومعنى ذلك أنه ألفه قبل أبي عبيدة بست سنوات على الأقل ، وهذا
تناقض ، ولعل الأستاذ لم ينتبه إلى تاريخ كتاب أبي عبيدة فجارى أبا حاتم
في ذلك دون أن يشعر .

والأستاذ الثاني : هو الدكتور فائز فارس ، محقق كتاب معاني القرآن
للأخفش .

فقد أصدره في مطلع عام ١٤٠٠هـ في مجلدين متوسطين في ثوب
قشيب وخدمه خدمة جيدة وذيل له بخمسة عشر فهرساً نموذجية وافية ، لكنه
مع ذلك قصر في مقدمة الكتاب حيث لم يفصل القول في تاريخ الكتاب ولم
يدفع ما وجه إليه من تهم ، كتهمة أبي حاتم السابقة ، فلم يشر إليها أي
إشارة، كما أنه وقع فيما وقع فيه الأستاذ عبدالأمير من التناقض ، فقد حكم

(٧٤) منهج الأخفش ... ١٥٢ .

(٧٥) منهج الأخفش ... ١١٧ .

(٧٦) منهج الأخفش ... ١٣٩ .

بسبق أبي عبيدة للأخفش في التأليف^(٧٧)، معتمداً في ذلك على عبارة للقنطي يقول فيها: ^(٧٨) «أول من صنف في معاني القرآن من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قطرب بن المستنير، ثم الأخفش» واستسلم لدلالة هذا الخبر دون تمحيص، وإذا به ينقضه بعد قليل حينما تصدى لتاريخ تأليف معاني الأخفش: فذكر قصته مع الكسائي - المتقدمة - ثم قال بعدها: «وهذا يدلنا على أن الكتاب ألف في أواخر القرن الثاني الهجري، بين سنة وفاة سيبويه ١٨٠هـ وسنة وفاة الكسائي ١٨٩هـ»^(٧٩) ومعنى هذا أنه ألفه قبل أبي عبيدة.

وأخيراً جاء دوري لأقول كلمتي في هذا الخلاف، ويلزمني قدر كبير من الحذر كي لا أقع فيما أخذته على العلماء الكرام من التناقض، فأقول - أولاً - إن بين يدي هذا الموضوع ثلاث قصص يبرز التعارض في مضمونها، ولا مجال للتوفيق بينها إلا بإسقاط إحداها، إسقاطاً علمياً يعتمد على التشكيك إما في سندها أو في مضمونها، وسأنظر فيها واحدة تلو الأخرى:

القصة الأولى: قصة تأليف كتاب أبي عبيدة، وما دار فيها بين الفضل ابن الربيع وكتابه وبين أبي عبيدة، واتفاق العلماء على مضمونها وعلى أنها في سنة ١٨٨هـ، فهذه القصة ليس عندي ما يريب فيها، وأجدني أسلم بنتيجتها وهي تأليف أبي عبيدة لكتابه المجاز في العام نفسه أو بعده مباشرة.

القصة الثانية: قصة أبي حاتم مع الأخفش، التي يشير فيها أبو حاتم إلى اعتماد الأخفش في كتابه على كتاب أبي عبيدة، بعد تهذيبه وإصلاحه وإجراء تعديلات عليه، وهذه القصة ليست منكراً عندي، لأن أبا حاتم تلميذ

(٧٧) مقدمة (معاني الأخفش) ٥٥ .

(٧٨) إنباه الرواة ٣ / ١٤ .

(٧٩) مقدمة (معاني الأخفش) ٥٦ .

مقرب لهما معاً ، وهو أقرب من يمكن أن يعرف أخبارهما ، كما أنه لا مصلحة شخصية ظاهرة له في ذلك . وأما سلاطة لسان أبي حاتم فليست بمستغربة فهذه عادته حتى مع شيخه أبي عبيدة وسيأتي معنا - قريباً - شيء من آرائه القاسية في كتاب شيخه أبي عبيدة ولذلك فأنا أميل إلى ما توحى به هذه القصة من سبق أبي عبيدة للأخفش ، ويؤنسني إلى ذلك أيضاً ما حكم به القفطي - كما سبق - وغيره من العلماء .

القصة الثالثة : اتضح من ترجيحي لمضمون القصة الثانية أنني سأتشكك في مضمون هذه القصة ، وهي قصة الأخفش مع الكسائي ، وحتى يسوغ لي ذلك لابد من أن أعرض القصة كاملة كي نتبين معاً الثغرات التي يمكن النفاذ منها ، وهذه القصة وردت على لسان الأخفش ، وفيها يحكي قصة عودة شيخه سيبويه منهزماً منكسراً بعد مناظرته مع الكسائي . ويصور الأخفش عزمه على الانتقام لشيخه فيقول (٨٠) .

« فلما دخل (سيبويه) إلى شاطئ البصرة ، وجه إليّ فجئته ، فعرّفتني خبره مع البغدادي (الكسائي) ، وودعني ومضى إلى الأهواز ، وتزودت وجلست في سمارية (٨١) حتى وردت بغداد ، فوافيت مسجد الكسائي ، فصليت خلفه الغداة ، فلما انفتل من صلاته ، وقعد في محرابه - وبين يديه الفراء والأحمر وهشام وابن سعدان - سألته عن مائة مسألة ، فأجاب عنها بإجابات خطأته في جميعها ، وأراد أصحابه الوثوب عليّ ، فمنعهم من ذلك ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه . فلما فرغت من المسائل ، قال لي الكسائي : بالله أنت

(٨٠) طبقات الزبيدي ٧٠ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٧ .

(٨١) السمارية أو السميرية : ضرب من السفن .

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ! قلت: نعم، فقام إلي وعانقني، وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي: أولادي، أحب أن يتأدبوا بك، ويخرجوا على يدك وتكون معي غير مفارق لي . وسألني ذلك فأجبته، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألتني أن أولف له كتاباً في معاني القرآن، فألفت كتابي في المعاني فجعله إماماً لنفسه، وعمل عليه كتاباً في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما».

هذه هي القصة ، وهي مليئة بالشغرات - في نظري - ، ولو لم يكن فيها إلا أنها كانت رد فعل لهزيمة سيبويه - شيخ البصريين - أمام الكسائي - شيخ الكوفيين - وكون بطل هذه القصة ومؤلفها هو الأخفش - تلميذ سيبويه - وخليفته على إمامة البصريين ، وأنا أعتبرها أسلوباً من أساليب رد الكرامة المهانة ، أظهر الأخفش فيها نفسه العالم الأوحد ، فأباح لنفسه أن يخطئ الكسائي في مائة مسألة بين تلاميذه وفي مسجده ، وأظهر فيها شجاعة جعلته لا يهتم بهم وقد هموا بالوثوب عليه ، فلم يكلف نفسه حتى قطع الحديث ، كما أظهر اهتمام الكسائي به ومعانقته له وإجلاله بجانبه في حين كان الأولى أن يبدأ هو بالعناق والتحية ، ثم زاد في المبالغة فجعل الكسائي يطلب إليه تأديب أولاده مع أن بحضرته من تلاميذه المذكورين من لا يقل عن الأخفش علماً وحرصاً وإخلاصاً لشيخهم ، ثم يختم بسؤال الكسائي إياه أن يؤلف له كتاباً في معاني القرآن كي يجعله إماماً وينسج على منواله، ويمتد الأثر - أيضاً - إلى الفراء فيستفيد منه، مع أن الثابت أن الفراء لم يؤلف كتابه إلا في مطلع القرن الثالث ويطلب من وزير الحسن بن سهل، وكان يمليه إملاء من حفظه^(٨٢)، ولم

أجد إشارة غير هذه القصة توحى بتأثره به ، وإنما وجدت أن الفراء أقرب ما يكون تأثراً بكتاب شيخه الرئاسي (٨٣) .

هذا ما أوصلني إليه اجتهادي ، وعسى أن يستقيم لي هذا الاجتهاد وهذا الاستنتاج الذي أخلص منه إلى أن أبا عبيدة سابق للأخفش في التأليف ، وعليه فأبو عبيدة - عندي - ترتيبه السابع بين من ألفوا في معاني القرآن وغريبه ، وبعد الكسائي مباشرة .

وكنت قد هممت أن أقدم عليه : مؤرجاً بن عمرو السدوسي (٨٤) ، فله كتاب في غريب القرآن (٨٥) ، وكاد يحملني على ذلك الأستاذ سيد صقر حينما حكم بوفاة مؤرج في سنة ١٧٤ (٨٦) ، فهذا التاريخ - لو صح - يقضي حتماً بتقدم مؤرج على أبي عبيدة ، ولكنني عندما بحثت ذلك وجدت إجماع العلماء يكاد ينعقد على تحديد وفاته بعام ١٩٥ هـ (٨٧) ، فعاودت البحث فوجدت نصاً يورده القفطي (٨٨) ، وفحوى هذا النص تدل على تأخر وفاته أكثر من ذلك ، ومضمون النص أن مؤرجاً كان على صلة بالمأمون عندما كان في خراسان - قبل أن يستتب له الأمر - وأنه قدم معه إلى بغداد (٨٩) ومعروف - تاريخياً - أن

(٨٣) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٢٥٠ .

(٨٤) مؤرج السدوسي (.....) هو : أبو فريد مؤرج بن عمرو بن الحارث من بني سدوس بن شيبان، عالم بالعربية والأنساب ، من أصحاب الخليل بن أحمد ، ولد في البصرة ومات بها بعد سنة ٢٠٤ هـ كما أرى . له مؤلفات منها : غريب القرآن ، والأمثال ، والمعاني (الفهرست ٧١ ، الأعلام ٨ / ٢٦٦) .

(٨٥) ذكره له : في الفهرست ٥٢ / ٧١ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٢٧ ، والأعلام ٨ / ٢٦٦ وغيرها .

(٨٦) مقدمة (غريب ابن قتيبة) ص ج .

(٨٧) المعارف ٥٤٣ ، والفهرست ٧١ ، وإنباه الرواة ٢ / ٣٢٧ ، والأعلام ٨ / ٣٦٦ .

(٨٨) إنباه الرواة ٢ / ٣٢٧ .

(٨٩) إنباه الرواة ٢ / ٣٢٧ .

المأمون قدم إلى بغداد «في يوم السبت لأربعة عشر بقيت من صفر سنة ٢٠٤ هـ»^(٩٠) ومعنى ذلك أن مؤرجاً عاش إلى هذا التاريخ ، ولعله عاش بعده سنين . ولقد خشيت أن أكون مفرطاً في الشذوذ بهذا الاستنتاج ، ولكنني وجدت عبارة مؤنسة لدى ياقوت^(٩١) والسيوطي^(٩٢) وهي أنه « قيل إنه عاش إلى بعد المائتين » . ولهذا فإنني أميل إلى أنه متأخر عن أبي عبيدة ، ومثله قطرب أيضاً . ويؤنسني في ذلك كلام القفطي المتقدم ، في الحكم بسبق أبي عبيدة .

قد وجدت الأستاذين : سيد صقر^(٩٣) وزغلول سلام^(٩٤) أدرجا النضر بن شميل^(٩٥) ضمن من ألفوا في معاني القرآن ، ولكنني وجدت كتب التراجم القديمة تذكر له كتاباً باسم (المعاني)^(٩٦) فقط وليس في هذه التسمية دلالة على أن موضوعه هو القرآن فقد يكون في معاني عامة .

هذا ما يتعلق بالتأليف في (معاني القرآن) منذ بدايته وحتى أبي عبيدة ، ومعلوم أن التأليف لم يقف عند أبي عبيدة ، وإنما تبعهم فيه آخرون كثيرون ، ولكن ليس من شأننا تفصيل القول فيهم في هذا المختصر .

(٩٠) تاريخ الطبري ١٠ / ٢٥٤ ، والدولة العباسية للخضري ١٨٣ .

(٩١) معجم الأدباء ١٩ / ١٩٧ .

(٩٢) بغية الوعاة ٢ / ٣٠٥ .

(٩٣) مقدمة (غريب ابن قتيبة) ص ب .

(٩٤) أثر القرآن في تطور النقد ٣٥ .

(٩٥) النضر بن شميل (١٢٢ - ٢٠٣ هـ) : هو أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة المازني التميمي ،

عالم باللغة وأيام العرب ورواية الحديث ، أصله من البصرة وولادته في (مرو) ونشأته في البصرة ووفاته بمرو ، له عدة كتب منها : الصفات ، والمعاني ، وغريب الحديث (المعارف ٥٤٢ ، الأعلام

٣٥٧/٨) .

(٩٦) انظر : الفهرست ٧٧ ، ونزهة الألباء ٨٥ ، وإنباه الرواة ٣ / ٣٥٢ .

ج - تحقيق عنوانه :

ذكر ابن النديم ^(٩٧) في ترجمته لأبي عبيدة ، وعند عرضه لمؤلفاته ، ذكر له أربعة كتب حول القرآن ، وهي : (مجاز القرآن) و(معاني القرآن) و(غريب القرآن) و(إعراب القرآن) ، وقد تناقل العلماء ^(٩٨) أسماء هذه الكتب عن ابن النديم - فيما يظهر لي - ونسبوها إلى أبي عبيدة . والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل لأبي عبيدة كتب بهذه الأسماء ؟ أم أنها أسماء لمسمى واحد وحصل هذا الخلاف بسبب بعد العهد بها واختلاف التلاميذ والنساخ وتنوع مشاربهم ؟ .

احتمالان نحتاج إلى قول فصل فيهما ، وخير من يعطي الكلمة في ذلك الدكتور فؤاد سزكين محقق وناشر كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة ، فقد طالت رحلته مع كتاب أبي عبيدة وعایش مخطوطاته كلها التي ما زالت على قيد الحياة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور سزكين ^(٩٩) : «والذي نظنه أن ليس هناك لأبي عبيدة غير كتاب (المجاز) وأن هذه الأسماء أخذت من الموضوعات التي تناولها (المجاز)، فهو يتكلم في معاني القرآن ويفسر غريبه وفي أثناء هذا يعرض لإعرابه ويشرح أوجه تعبيره وذلك ما عبّر عنه أبو عبيدة بمجاز القرآن ، فكل سمي الكتاب بحسب أوضح الجوانب التي تولّى الكتاب تناولها ، ولفتت نظره أكثر من غيرها . ولعل ابن النديم لم ير الكتاب، وسمع هذه الأسماء من أشخاص متعددين فذكر لأبي عبيدة في موضوع القرآن هذه الكتب المختلفة الأسماء، على أننا حين نذهب إلى هذا نستند إلى نصين يشبثانه،

(٩٧) الفهرست ٧٩ - ٨٠ .

(٩٨) انظر : معجم الأدباء ١٩/١٦١، وإنباه الرواة ٣/٢٨٥، وطبقات ابن شهبة ٢/ ٥٢٠ (مخطوط).

(٩٩) مقدمة تحقيق المجاز ١٨ .

فهناك عالمان من علماء الغرب الإسلامي يصرحان بالذي نظنه ؛ ففي طبقات النحويين ^(١٠٠) : (... سألت أبا حاتم عن غريب القرآن لأبي عبيدة الذي يقال له المجاز) وفي فهرس ابن خير الأشبيلي ^(١٠١) : (... وأول كتاب جمع في غريب القرآن ومعانيه كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى وهو كتاب المجاز) .

على أن نسخ (المجاز) تحمل هذا الاضطراب في اسم الكتاب ، ففي نسخة منه نجد العنوان : (كتاب مجاز القرآن) في أول الجزء الأول ، وفي آخره (النصف الأخير من كتاب غريب القرآن) . وفي نسخة أخرى يوجد عنوان الكتاب هكذا : (كتاب المجاز لتفسير غريب القرآن) . وتشبهها عبارة الختام في نسخة الثالثة ^(١٠٢) انتهى كلام الدكتور سزكين ، وما توصل إليه الدكتور هو عين ما في نفسي وهو ما خلصت إليه من خلال صحبتي الطويلة لأبي عبيدة وكتابه. ولدي مزيد من النصوص - إضافة إلى ما ذكره الدكتور - فقد مر بنا نص أبي حاتم مع الأخفش ، الذي يقول فيه أبو حاتم ^(١٠٣) : «كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن ..» فهذه العبارة - من أبي حاتم التلميذ - تدل على أن أبا عبيدة ليس له حول القرآن إلا كتاب واحد . ومثل هذا النص في الصراحة ما أورده ياقوت ^(١٠٤) من أن الأصمعي لم يترك التأليف في القرآن تورعاً وإنما «رياءً وعناداً لأبي عبيدة لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن ...» ففي هذا النص دلالة - أيضاً - على أن أبا عبيدة ليس له في القرآن إلا كتاب

(١٠٠) الزبيدي ١٩٤ .

(١٠١) فهرس ابن خير ١٣٤ .

(١٠٢) مقدمة المجاز ١٨ .

(١٠٣) طبقات الزبيدي ٧٤ .

(١٠٤) معجم الأدباء ٧ / ٢٦ .

واحد . وهناك نصوص أخرى كثيرة ، تؤنس فحواها بمثل هذا ، منها - مثلاً - ما ورد في قصة تأليف أبي عبيدة لكتابه - المقدمة - وأقصد بذلك عبارة أبي عبيدة التي يقول فيها : ^(١٠٥) « ... واعتقدت من ذلك اليوم أن أصنع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه ولما يحتاج إليه من علمه ، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز » ومن ذلك أيضاً ما ورد عن الفراء أنه قال ^(١٠٦) : « لو حمل إليّ أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز » . وغير ذلك كثير . ومما يزيد الأمر وضوحاً أننا بينما نجد هذه النصوص المتكاثرة التي تنص على أنه ليس لأبي عبيدة إلا كتاب واحد اسمه المجاز ، فإننا لا نجد أي نص من معاصريه يشير إلى كتاب اسمه (المعاني) أو (الإعراب) أو (الغريب) موصولاً بطريق أو بآخر بالقرآن . وهذا - في نظري - كاف في الدلالة على أنه لا كتاب لأبي عبيدة حول القرآن غير (مجاز القرآن) المطبوع المتداول ، وأن هذا الخلاف الحاصل مرده النظر في الجوانب التي اشتمل عليها هذا الكتاب من غريب وإعراب ومعان إلى غير ذلك .

د - معنى العنوان ومدلوله :

تحققنا - مما تقدم - أن عنوان كتاب أبي عبيدة الوحيد في القرآن هو : (مجاز القرآن) أو بلفظ أقرب (المجاز) ، وهذا الاسم سماه به مؤلفه في اللحظة التي عمله فيها بإيحاء من مجلسه مع الفضل بن الربيع وكتابه ، ولقد كان هذا الاسم واضحاً ظاهر الدلالة على مضمون الكتاب لدى معاصري أبي عبيدة ، فلم يؤثر عن أحد منهم التباس في فهم الاسم أو المضمون ، ولعل قرب عهدهم بأبي

(١٠٥) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٥ .

(١٠٦) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٥ .

عبيدة وبكتابه يَسِّرُ لهم الفهم الصحيح ، وأراحهم من التخبط والخلط الذي وقع فيه من بعدهم ممن لم يروا الكتاب - في نظري - وإنما حكموا على مضمونه بما أوحى لهم به لفظة عنوانه (المجاز) وبخاصة عندما ارتبطت هذه الكلمة - مؤخراً بمصطلح بلاغي معروف ، لا تكاد عند إطلاقها تنصرف إلى غيره ، وفات هؤلاء - تاريخياً - أن كلمة (المجاز) لم تتجه إلى هذا المدلول البلاغي إلا بعد أبي عبيدة بسنين - وسيأتي تفصيل ذلك قريباً - . أما مراد أبي عبيدة بكلمة المجاز فهو واضح وصريح عند قراءة كتابه ، أو على الأقل مقدمته لكتابه ، وعلى من يريد أن يعرف ذلك ممن لم يتيسر له الاطلاع على الكتاب ، عليه أن يقرأ كلام ابن قتيبة ^(١٠٧) التالي :

«وللعرب (المجازات) في الكلام، ومعناها : طرق القول ومآخذه، ففيها : الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح ، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ، مع أشياء كثيرة سترها في (أبواب المجاز) إن شاء الله تعالى . وبكل (هذه المذاهب) نزل القرآن ^(١٠٨)» .

والواقع أن من يقرأ كلام ابن قتيبة هذا يخرج بصورة واضحة جلية عما تضمنه كتاب أبي عبيدة ، وأكاد أجزم - ويعرف ذلك معي من له علم بمضمون الكتاب - أن ابن قتيبة سجل هذه الفقرات من خلال اطلاعه على

(١٠٧) تأويل مشكل القرآن ٢٠ - ٢١ .

(١٠٨) تأويل مشكل القرآن ٢٠ - ٢١ .

كتاب أبي عبيدة ^(١٠٩) . ولقد كان كثير الاعتماد عليه في كتابيه (المشكل) و(الغريب) ^(١١٠) . إلا أن أبا عبيدة - كما هو معلوم - لم يرد عنده استعمال الاستعارة والتمثيل والكناية بمدلولها البلاغي المعروف ، ولعل هذا المدلول بدأ مع الجاحظ وابن قتيبة .

ولقد كنت أرى أن من الواجب أن أسوق أمثلة من كلام أبي عبيدة، مما أورده في مقدمته، كي نعرف منها - عياناً - مراده بكلمة المجاز وأسلوبه في تناول الآيات القرآنية التي تعرض لها في كتابه، ولكن نظراً لأنني قد درست الكتاب بأكمله - في رسالتي للماجستير - دراسة وافية في مئات الصفحات، فقد رأيت أنه لا داعي للتكرار هنا، ومن يقرأ الدراسة المذكورة فسوف يخرج منها بنتيجة مرضية، وتصور شامل عن الكتاب لأن هذه الدراسة - فيما أعلم - هي أول دراسة واسعة لمضمون هذا الكتاب، ولعلها تطبع كاملة - قريباً - بحول الله. أعود لأقول : إن مراد أبي عبيدة بكلمة (المجاز) التي سمى بها كتابه، كان واضحاً لدى معاصريه، ولدى الأقربين من لاحقيه، كابن قتيبة (- ٢٧٦هـ) مثلاً الذي ولد بعد وفاة أبي عبيدة بأربع سنين ، والمبرد (- ٢٨٦هـ) الذي ختم كتابه الكامل ببعض الآيات مبيناً ما فيها من المجاز ^(١١١) على طريقة أبي عبيدة، ومن خلال مضمون كتاب أبي عبيدة، ومن خلال ما أورده ابن قتيبة والمبرد أستطيع أن أحدد مراد أبي عبيدة بكلمة (المجاز) في كلمات قلائل فهو: (الطرق والمسالك التي يتبعها القرآن للتعبير عن مقاصده وأغراضه) ، فمدلول لفظة (المجاز) - إذن - عند أبي عبيدة أوسع من أن تحصر في

(١٠٩) أبو عبيدة ... ١٧٩ .

(١١٠) مقدمة (غريب ابن قتيبة) لسيد صقر ص ج .

(١١١) الكامل ٤ / ١٢٧ .

مصطلحها البلاغي - كما توهمه بعضهم - ، ودليل هذه السعة أن أبا عبيدة قد سمح لنفسه - في حرية كاملة - أن يزاوج بين عبارات مختلفة في تناوله للآيات القرآنية ، وهي عبارات لم يكن لها أن تندرج تحت لفظة (المجاز) بمعناها الضيق ، فتراه يقول (مجازة كذا) و(تفسيره كذا) و(غريبه كذا) و(تقديره كذا) و(تأويله كذا) و(سبيله كذا) و(معناه كذا) و(أي كذا) .

وهو بين هذا وهذا يعرض للإعراب ، ويشير إلى بعض القراءات ، وقد يعرض لبعض الخلاف النحوي وهذا كله موضح ومبسوط في بحث الماجستير .

ولا مانع هنا أن نسجل بعض فقرات من مقدمة أبي عبيدة لكتابه ، يقول:

«قالوا : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص ، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ، ومن الغريب والمعاني^(١١٢) » ... ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ، ومجاز ما حذف ، ومجاز ما كف عن خبره ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد ...^(١١٣) .

ومجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، ومجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناه مخاطبة الشاهد ، ومجاز ما يزداد من حروف الزوائد ويقع مجاز الكلام على إلقائهن ، ومجاز المضمحل استغناء عن إظهاره ، ومجاز المكرر للتوكيد ، ومجاز المجلل استغناء عن كثرة التكرير ، ومجاز المقدم والمؤخر ، ومجاز ما يحول من خبره إلى خبر غيره بعد أن

(١١٢) مجاز القرآن ١ / ٨ .

(١١٣) مجاز القرآن ١ / ١٨ .

يكون من سببه فيجعل خبره للذي من سببه ويترك هو . وكل هذا جائز قد تكلموا ^(١١٤) به .

هذه خلاصة موجزة لمعنى المجاز ، ومراد أبي عبيدة منه ، ولكن هل هذا المدلول واضح وظاهر لدى العلماء الذين سمعوا بالكتاب ولم يطلعوا عليه ؟ الواقع أن هناك خبطاً وخلطاً بين العلماء في فهم مراد أبي عبيدة بهذا العنوان ، وأول من عرف عنه الالتباس في فهم هذا العنوان : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الشافعي ^(١١٥) (- ٤٧٦هـ) فقد قال في كتابه (اللمع في أصول الفقه) في باب الحقيقة والمجاز : « ويعرف المجاز من الحقيقة بوجوه : منها ، أن يصرحوا بأنه مجاز ، وقد بيّن أهل اللغة ذلك ، وصنف أبو عبيدة كتاب المجاز في القرآن ، وبيّن جميع ما فيه من المجاز ^(١١٦) » فقد غرّه التصريح بلفظة (المجاز) وفهمها فهماً مغايراً لمراد صاحبها ، والغريب أنه لم يقتصر على فهمه لعنوان الكتاب ، وإنما ذهب يجتهد فيستنتج من العنوان مضمون الكتاب ، فيحكم بأن أبا عبيدة قد بيّن في الكتاب جميع ما في القرآن من المجاز . وما ذهب إليه بناءً على غير أساس ، فلا سند له من واقع الكتاب .

وقد جاز هذا الوهم في عنوان الكتاب على بعض العلماء المحدثين ، فالأستاذان أحمد الإسكندري ومصطفى عناني يذهبان في كتابهما

(١١٤) مجاز القرآن ١ / ١٩ .

(١١٥) أبو إسحاق الشيرازي (٣٩٣ - ٤٧٦هـ) : هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي ، ولد في فيروزآباد (بفارس) وانتقل إلى شيراز فقرأ على علمائها وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد ، وهناك ظهر نبوغه في علوم الشريعة ، له عدة مؤلفات ، طبع منها : اللمع ، والتنبيه ، والمهذب ، وطبقات الفقهاء (انظر : الأعلام ١ / ٤٤) .

(١١٦) اللمع ٢٦ ، ومناهج تجديد ١٠٧ .

(الوسيط) ^(١١٧) إلى « أن أول كتاب دُون في علوم البلاغة، كان في علم البيان، وهو كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة تلميذ الخليل ، ثم تبعه العلماء » . وهذا الكلام وَهْمٌ منهما ، ولعل الذي أوقعهما فيه قصة تأليف الكتاب المشهورة .
ومن التبس عليه الأمر من المحدثين - أيضاً - الأستاذ عبدالعزيز البشري ، فقد ذهب إلى أن الكتاب يدور حول بيان الحقيقة والمجاز . وقد رد عليه الأستاذ أمين الخولي في مجلة الهلال ^(١١٨) . وغير هؤلاء العلماء كثير .
ولكننا بينما نجد الأمر ملتبساً على هؤلاء العلماء ، لانعدم من العلماء - قدامى ومحدثين - من وُفِّقَ إلى فهم المراد من هذا الكتاب ، فهذا ابن تيمية ^(١١٩) . (- ٧٢٨هـ) - رحمه الله - يقول في ذلك : « وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز : أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه ، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة ، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية » ^(١٢٠) .

وقد وجد عدد غير قليل من العلماء نفذوا إلى معنى المجاز وعرفوا المراد منه ، كالدكتور طه حسين ^(١٢١) ، والأستاذ أمين الخولي ^(١٢٢) ، والأستاذ

(١١٧) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ٢٢٩ .

(١١٨) مجلة الهلال سنة ٤٤ لعام ١٩٣٦ / ٥ / ٥٤٥ . وكتاب القرآن وأثره ... لعبدالعالم مكرم ٢٤٥ .

(١١٩) ابن تيمية : (٦٦١ - ٧٢٨هـ) : هو أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام النميري الحاراني الدمشقي الحنبلي ، تقي الدين ، الإمام ، شيخ الإسلام ، ولد في حران ، ومنها إلى دمشق فنيغ واشتهر ، فطلب إلى مصر ، ثم سجن بها ، وعاد إلى دمشق فسجن . ثم أطلق ثم سجن بالقلعة فمات بها . له مئات المؤلفات ، ومما طبع منها : الفتاوى ، والجوامع ، والإيمان ، ورفع الملام . ومنهاج السنة ، ودرء تعارض العقل والنقل ، والاستقامة ... وغيرها (الأعلام ١ / ١٤٠) .

(١٢٠) الإيمان ص ٧٣ .

(١٢١) تجديد ذكرى أبي العلاء ٩٧ .

(١٢٢) مناهج تجديد ١٠٨ إلى ١١٥ .

محمد عبدالغني حسن^(١٢٣)، والأستاذ إبراهيم مصطفى^(١٢٤)، والدكتور شوقي ضيف^(١٢٥)، والدكتور بدوي طبانة^(١٢٦) والدكتور أحمد مطلوب^(١٢٧) وغيرهم كثير .

غير أن هؤلاء العلماء اختلفوا في تصنيف هذا الكتاب ، فمنهم من نظر إلى الجانب اللغوي فيه فاعتبره كتاباً في اللغة كالدكتور طه حسين ، ومنهم من نظر إلى تفسيره للغريب والمعاني فاعتبره كتاباً في التفسير كالأساتذة أمين الخولي ومحمد عبدالغني حسن وأحمد مطلوب ، ومنهم من نظر إلى الجانب النحوي فاعتبره كتاباً في النحو كالأستاذ إبراهيم مصطفى . والواقع أن كلاً منهم نظر إلى جزء من أجزاء الكتاب فَسَمَّى الكتاب به ، من باب تسمية الكل باسم الجزء . وإن كان لابد مما فعلوه فما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي وتحمس له هو أولى الأقوال بالصواب ، وذلك أنه لا خلاف على أن (الكشاف) و(البحر المحيط) كتابان في التفسير رغم اشتمالهما اشتمالاً ظاهراً على النحو واللغة وغيرهما ، وكتاب أبي عبيدة ، ومثله معاني الفراء والأخفش وغيرها من كتب المعاني تسير في هذا الفلك وعلى ترتيب السور لكنها تتميز بميزة الاختصار ، وبأن كلا منها يصطبغ بالصبغة العامة لمؤلفه .

هـ - منهجه فيه :

إذا كان التفسير القرآني سار أول أمره في طريق الرواية ، واتباع منهجها - تخرجاً من المفسرين وتأثماً منهم - فإن النحاة كانوا من أوائل الدارسين الذين

(١٢٣) مقدمة (تلخيص مجازات القرآن) ٥ - ٤٤ .

(١٢٤) إحياء النحو ١١ إلى ١٦ .

(١٢٥) البلاغة تطور وتاريخ ٢٩ .

(١٢٦) البيان العربي ١٧ .

(١٢٧) مناهج بلاغية ٨٣ .

لفتوا إلى الاعتماد على اللغة في التفسير ما دام القرآن قد نزل بهذه اللغة للإعجاز ، ولعل هذا يفسر لنا كيف دافع هؤلاء مبدأ التخرج في التفسير ، وكيف شقوا الطريق لحركة تفسيرية واسعة فيما بعد ...

ولقد كان أول عمل منظم لأولئك النحاة في تفسير القرآن ما ظهر من بحوثهم مما اصطلاح على تسميته بـ (كتب المعاني) كمجاز القرآن لأبي عبيدة الذي أسسه على فهم النص القرآني فهماً لغوياً بعيداً عن التأثير بدنييات قد لا تعطيها الدلالة اللغوية ، ولا يسعف على استنباطها من النص تركيبه الأدبي المعجز (١٢٨) ...

هذه رؤية عامة أقدمها بين يدي الموضوع، ولست أرى تناوله بهذه الطريقة من الشيوع ، وإنما سأحدد القول فيه تحديداً، وأسلكه في فقرات تعين على تناوله في سهولة ووضوح. وهذه هي أبرز خصائص منهج أبي عبيدة في كتابه:

أولاً : من حيث الصبغة العامة :

أشرت - باختصار - في هذه المقدمة إلى الصبغة العامة التي تصبغ مسلك أبي عبيدة في دراسته للقرآن ، وهي الاتجاه إلى فهم النص القرآني فهماً لغوياً واستلهاً منطوقه بعيداً عما تعج به البيئة الإسلامية من آراء في الاعتقاد والفقه وما قرره علماء الكلام من أقيسة عقلية منطقية وأسلوب جدلي. وقد ساعده على ذلك سعة مخزونه اللغوي والأدبي والإخباري، من غريب اللغة وشواردها من أشعار العرب وأمثالهم، ومن أخبارهم وتاريخهم وأيامهم وعاداتهم، وقد ظهر أثر ذلك كله واضحاً وجلياً في كتابه ، ومن ذلك - مثلاً - حديثه المفصل عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام عند تعرضه لقوله تعالى

(١٢٨) دراسات في القرآن للدكتور السيد أحمد خليل ٦٩ - ٧٠ .

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ... ﴾ [المائدة : ١٠٣] (١٢٩) .

وهذا المسلك الذي سلكه أبو عبيدة ، في فهم النص فهماً لغوياً مستعيناً فيه بما أثر عن العرب من شعر ونثر ، لم يبتدعه من ذات نفسه ، وإنما أخذ به استجابة لما نادى به عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس - رضي الله عنهم - ، فأما عمر فيروى عنه (١٣٠) : أنه أشاد بالشعر وأهاب بالتعويل عليه لأنه علم العرب الذي لم يكن لهم علم أصح منه ، وأما ابن عباس فيروى عنه أبو عبيدة - نفسه - أنه قال (١٣١) : إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر ، فإنه ديوان العرب ، وكان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر ، وسئل عن الزنيم ، فقال : هو الدعي الملقق ، ألم تسمع إلى قول الشاعر .

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زيدَ في عرض الأديم الأكارع (١٣٢)

وقد روى أبو عبيدة عن ابن عباس من ذلك الشيء الكثير ، وبخاصة أجوبة ابن عباس لنافع بن الأزرق - التي سبقت الإشارة إليها - وقد أورد المبرد منها شيئاً كثيراً في كتابه الكامل ، وأكثره عن أبي عبيدة بسنده عن ابن عباس (١٣٣) . ومع أن أبا عبيدة - في نهجه هذا - قد حذا حذو عمر بن الخطاب

(١٢٩) سورة المائدة ٥ / ١٠٣ ، وانظر مجاز القرآن ١٧٧/١ إلى ١٨١ . وكتاب دراسات في القرآن ٧٤ .

(١٣٠) طبقات فحول الشعراء ١ / ٢٤ .

(١٣١) الفاضل للمبرد ١٠ .

(١٣٢) نسب المبرد هذا البيت إلى حسان بن ثابت الأنصاري (- ٥٤هـ) شاعر الرسول [وأحد الشعراء المخضرمين فقد عاش ستين عاماً في الجاهلية ومثلها في الإسلام (انظر الكامل للمبرد ٣ / ٢٢٣) ونسبه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في (معجم غريب القرآن لابن عباس ص ٢٥٧) إلى الخطيم التميمي ، وأحال إلى : (الأساس ١ / ٤١٠ ، وابن هشام ١ / ٣٨٧) . والظاهر أنه له ، لأنني لم أجده في ديوان حسان .

(١٣٣) انظر : الكامل للمبرد ٣ / ٢٢٢ إلى ٢٢٨ .

وعبدالله بن عباس - رضي الله عنهم - إلا أنه لم يسلم من النقد العنيف -
كما سيأتي قريباً .

على أن مسلك أبي عبيدة - هذا - لم يعدم التقدير من بعض الدارسين
المحدثين (١٣٤) ، لكن هذا المسلك - في جانب آخر - حرر أبا عبيدة من
التقيد بالقيود التي كانت المدرستان البصرية والكوفية تضعانها لفهم
النصوص العربية ، وقد ساعد على نجاحه منهما أنهما كانتا في دور التكوين ،
كما أن هذا المسلك صرفه عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه ،
كما صرفه عن تتبع أسباب النزول إلا عندما كان يقتضي فهم النص التعرض
لذلك (١٣٥) .

ثانياً : من حيث الترتيب العام :

للعلماء في ترتيب كتبهم المؤلفة حول القرآن عدة طرق ، فمنها ما
رتبه مؤلفه حسب موضوعات (١٣٦) يختارها ، ومنها ما رتب حسب حروف
المعجم (١٣٧) ، ومنها ما رتب حسب سور القرآن . وقد اختار أبو عبيدة الترتيب
الأخير ، وهو الترتيب على حسب سور المصحف ، كما أنه سار على ترتيب
الآيات داخل السور ، إلا أنه لم يستقص كل الآيات ، وإنما انتخب منها ما يراه
في حاجة إلى بيان .

(١٣٤) الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو ١١ فما بعده . والدكتور السيد خليل في دراسات في
القرآن من ٧٠ إلى ٨٣ .

(١٣٥) مقدمة (المجاز) للدكتور فؤاد سزكين ١٩ .

(١٣٦) من ذلك ما فعله ابن قتيبة في كتابه : (تأويل مشكل القرآن) .

(١٣٧) من ذلك ما فعله أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني في كتابه غريب القرآن .

ثالثاً : من حيث طريقة تناول لكل آية :

اتخذ أبو عبيدة لنفسه منهجاً في تناول كل آية يعرض لها ، قل أن يحيد عنه إلا عندما يرى ضرورة لذلك ، أو عندما لا تسعفه المادة المستشهد بها ، ويتلخص هذا المنهج في النقاط التالية :

- ١ - يشرح الآية بآية أخرى مماثلة لها ، وهذا النهج شائع في كتابه وتكاد لا تخلو منه صفحة من صفحاته .
- ٢ - يتبع ذلك بحديث نبوي ، وذلك قليل ، ولو قدرت أنه لم يجاوز العشرين موضعاً لما أظنني عدوت الصواب (١٣٨) .
- ٣ - اتباع ذلك بشاهد من الشعر العربي ، وهذا لا يقل في كثرته عن الأول وقد حفل كتاب أبي عبيدة بشواهد كثيرة .
- ٤ - ثم اتباع ذلك بقطع من النثر ، كالأمثال والحكم والأقوال المأثورة (١٣٩) ، وهذا قليل يتعادل في قلته مع الحديث النبوي .

رابعاً : من حيث نوعية الأسلوب :

على الرغم من كثرة الآيات التي تناولها أبو عبيدة حيث قد استقصى سور القرآن كلها ، فإن كتابه لو يجرد من الحواشي التي عملها المحقق لما زاد عن مجلد واحد ، وهذا فيه دلالة على أن أبا عبيدة كان يميل إلى الإيجاز والاختصار في تناوله لأغلب الآيات ، حتى ليبلغ به الأمر ، - أحياناً - أن يشرح الكلمة بكلمة واحدة مثلها ولا يزيد على ذلك (١٤٠) ، وهذه سمة بارزة

(١٣٨) انظر مجاز القرآن ١ / ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ٢٥٩ ، ٣٧٩ ، ٢ / ٦٥ ، ٧٧ ، ٩١ ، ١٢٢ إلخ .

(١٣٩) انظر مجاز القرآن ١ / ٢٣ ، ٨٣ ، ١٥٧ ، ١٨١ ، ٣٠٣ ، ٢ / ٤ ، ١٢٠ ، ٢٧٦ .

(١٤٠) انظر أمثلة لذلك - وهو كثير جداً - في مجاز القرآن: ١ / ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٠ إلخ .

يراها - من أول وهلة - كل من اطلع على الكتاب ، وليست محتاجة إلى دعم أو تأييد . يقول الأستاذ محمد عبدالغني حسن ^(١٤١) : « لم يكن أبو عبيدة في تفسيره أو في مجازاته طويل النفس ، ممدود الأمراس ، فهو يوجز في تأويل اللفظة القرآنية إيجازاً ... كأنه يفصل التفسير على القد ، لا يزيد على الكلمة المفسرة حرفاً ... » .

وثمة سمة أخرى لأسلوب أبي عبيدة في كتابه وهي : اصطباغه بطابع المجالس التعليمية ، حيث تطل في أثنائه هيئة المعلم المشافه ، في نبراته وانفعالاته بما يقول واحتجاجه له ، وقصده ، - أحياناً - إلى التكرار عندما يحس بالحاجة إليه ، وإكثاره - في أحيان أخرى - من التمثيل للإيضاح ^(١٤٢) . ومع أن هذا أمر ملموس في الكتاب ، إلا أنه لا يطغى على السمة البارزة ، سمة الإيجاز والاختصار .

هذه خلاصة الحديث حول منهج أبي عبيدة في كتابه ، وعسى أن تكون - رغم اختصارها - دالة عليه .

و - موقف العلماء منه :

أثار (مجاز) أبي عبيدة - منذ ظهوره - ضجة كبرى في الأوساط العلمية ، في البصرة ، والكوفة ، وبغداد . ولعل السبب الظاهر في ذلك والمباشر ... هو أن أبا عبيدة تناول القرآن - حين درسه - وعمدته الأولى الفقه بالعربية وأساليبها واستعمالاتها ، والنفاز إلى خصائص التعبير فيها ، ولما كان هذا الاتجاه لا يبعد كثيراً عن تفسير القرآن بالرأي - وهو الأمر الذي كان يتحاشاه

(١٤١) مقدمة (تلخيص مجازات القرآن) ٤٤ .

(١٤٢) أبو عبيدة ... ١٩٩ (بتصرف) . وانظر مجاز القرآن : ٢٨/١ ، ٣٨ ، ١٢٢ ، ٣٠٩ .

كثير من المعاصرين له ... فقد تعرض مسلكه هذا لكثير من النقد (١٤٣) ، وهو نقد يختلف حدة ولينا حسب مصدره ويتلخص ذلك كله في مواقف معروفة ومشهودة لطائفة من العلماء على النحو التالي :

أولاً : الأصمعي : من البصرة - قرين أبي عبيدة ومنافسه ، ويروى عنه أنه عاب على أبي عبيدة تأليفه لكتابه (المجاز) ووصفه بأنه تفسير للقرآن بالرأي ويروي في ذلك البغدادي (١٤٤) قوله : « بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تأليفه كتاب المجاز في القرآن ، وأنه قال : يفسر كتاب الله برأيه ! فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو ؟ ، فركب حماره ، وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ، ثم قال : يا أبا سعيد ، ما تقول في الخبز أي شيء هو ؟ قال : هو الذي نأكله ونخبزه ، فقال أبو عبيدة : قد فسر كتاب الله برأيك ، فإن الله قال : ﴿ ... أَحْمِلْ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا ... ﴾ [يوسف : ٣٦] (١٤٥) ، فقال الأصمعي : هذا شيء بان لي فقلته لم أفسره برأيي ، فقال أبو عبيدة : والذي تعيب علينا كله شيء بان لنا فقلناه ، ولم نفسره برأينا ، ثم قام فركب حماره وانصرف » .

هذا هو رأي الأصمعي في (المجاز) وحكمه عليه ، والواقع أن أي رأي يصدر من الأصمعي في حق أبي عبيدة أو العكس يجب أن ينظر إليه بشيء من الحذر ، ذلك أن ما بين الرجلين من الخصومة - مما فُصل في بحث الماجستير - يلقي ظلالاً من الشك على كل ما يصدر منهما من أحكام في

(١٤٣) مقدمة (المجاز) ١٦ .

(١٤٤) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٥ .

(١٤٥) من قوله تعالى ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ... ﴾ سورة يوسف ١٢ / ٣٦ .

بعضهما ، ويقدح في صدقها وموضوعيتها ، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بما يشبه أن يكون مجداً أو سبقاً لأحدهما على صاحبه ، كما هو الحال بالنسبة لسبق أبي عبيدة لصاحبه الأصمعي بتأليف كتاب (المجاز) ، فلا غرابة - إذن - أن يندفع الأصمعي - بما أودع الله فيه من بشرية ضعيفة ، ويدافع من منافسة مشحونة - للتهوين من كتاب أبي عبيدة والخط من شأنه قدر الإمكان. وهذا الذي أصل إليه لست اخترعه من ذات نفسي اتهاماً للرجل وافتراء عليه، وإنما أستند فيه إلى أمرين، أضيفهما إلى ما أشرت إليه من خصومة ومنافسة ، وهذان الأمران هما : الأول : ما ثبت عن الجرمي أنه قال : ^(١٤٦) «صرت إلى الأصمعي ومعى كتاب المجاز لأبي عبيدة ، فقال لي : هاته ، فأعطيته إياه وانصرفت ، فنظر فيه حتى انتهى إلى آخره ، ثم رجعت إليه ، فقال لي : قال أبو عبيدة في أول كتابه : (الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ...) ^(١٤٧) أي لا شك فيه ، فما يدرى أن الريب الشك ؟ فقلت له : أنت فسرت لنا في شعر الهذليين :

فقالوا تركنا القوم قد حصروا به فلا ريب أن قد كان ثم لحيم ^(١٤٨)
فأمسك ولم يقل شيئاً ورد الكتاب» .

فهذه القصة واضحة لا تحتاج إلى تعليق ، وفيها تظهر محاولة الأصمعي القدح في الكتاب حتى لو كان لا يستند في نقده على أساس ، ولكن يأتيه الرد الصريح من تلميذه المقرب إليه فلا يحير جواباً بعد ذلك .

(١٤٦) أخبار النحويين ٤٨ .

(١٤٧) سورة البقرة ٢ / ٢ ، ١ .

(١٤٨) البيت لساعدة بن جؤية الهذلي من بني تميم بن سعد بن هذيل ، من المخضرمين : والبيت من شواهد أبي عبيدة في (المجاز) وقد خرجه المحقق تخريجاً وافياً . (مجاز القرآن ١ / ٢٩) .

الثاني : ما أورده ياقوت عن أبي علي الفارسي ^(١٤٩) من أن الأصمعي لم يترك التأليف في القرآن تورعاً وإنما رياءً وعناداً لأبي عبيدة لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن ^(١٥٠) .

هذا ما يتعلق بالأصمعي . ولا أريد الإطالة فيه بأكثر من هذا .

ثانياً : الأخفش : - من البصرة - وليس عندنا ما يشير إلى موقف له من (مجاز) أبي عبيدة ، سوى قول أبي حاتم - المتقدم - الذي يقول فيه : « كان الأخفش قد أخذ كتاب أبي عبيدة في القرآن ، فأسقط منه شيئاً وزاد شيئاً ، وأبدل منه شيئاً فقلت له : أي شيء هذا الذي تصنع ؟ من أعرف بالغريب أنت أو أبو عبيدة ؟ فقال : أبو عبيدة فقلت : هذا الذي تصنع ليس بشيء ، فقال : الكتاب لمن أصلحه وليس لمن أفسده ^(١٥١) ... » فهذا القول فيه دلالة على أن الأخفش استفاد من مجاز أبي عبيدة ، ولكن فيه دلالة على انتقاد الأخفش له في مواضع كثيرة ، بدليل أنه أسقط وزاد وأبدل ، وسمى عمله هذا إصلاحاً للكتاب بعد أن كان فاسداً . ونقف عند هذا الحد ، ولا يسعنا هذا النص الوحيد بأكثر من هذا ، على أن كتاب الأخفش مطبوع - الآن - ومتداول ، وقد نظرت فيه في محاولة للمقارنة بينه وبين كتاب أبي عبيدة ، فلم أر بينهما ما يمكن أن يكون تماثلاً ، وإنما رأيت تشابهاً تفرضه

(١٤٩) أبو علي الفارسي (٢٨٨ - ٣٧٧هـ) : هو : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل ، ولد في (فسا) من أعمال فارس ، ودخل بغداد وانتقل منها إلى حلب فاتصل بسيف الدولة ورحل إلى فارس فاتصل بعضد الدولة ، وهو إمام من أئمة العربية الكبار وله عدة مؤلفات منها الإيضاح ، والحجة . (نزهة الألباء ٣١٥ والأعلام ٢ / ١٩٣) .

(١٥٠) معجم الأدباء ٧ / ٢٦١ .

(١٥١) طبقات الزبيدي ٧٤ .

طبيعة دراستهما المشتركة، وعثرت على آراء كثيرة وافق الأخفش فيها أبا عبيدة فأشرت إليها في الدراسة النحوية - في القسم الثاني من بحث الماجستير - .

ثالثاً : أبو حاتم : من البصرة - تلميذ أبي عبيدة المقرب ، ولعل أبا حاتم رغم قربه من شيخه أبي عبيدة ومحبة شيخه له - يعتبر من أشد الحاملين على أبي عبيدة وكتابه . قال مروان بن عبد الملك ^(١٥٢) « سألت أبا حاتم عن غريب القرآن لأبي عبيدة الذي يقال له المجاز ، قال لي : إنه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه ، وما كان شيء أشد علي من أن أقرأه قبل اليوم ، وقد كان أن أضرب بالسياط أهون علي من أن أقرأه ، وما يجوز لأحد أخذه ، فألححت عليه فيه ، فقال لي : نعم ، ثم كلمته بعد ذلك فتأبى عليّ فيه ، وقال إنه خطأ وفسر القرآن على غير ما ينبغي ... ما يحل لأحد أن يقرأه إلا على شرط إذا مر بالخطأ أن يبينه ويغيره ، ثم قرأه علينا بعد هذا كله ، وسمعناه منه . وسمعته يقول : قال لي أحمد بن المعذل ^(١٥٣) وكان يفهم كتاب أبي عبيدة - تنكر منه شيئاً ؟ فقلت نعم ، فقال لي : ففقني عليه ، فأوقفته عليه ، قال أبو حاتم : (فقلت له) : قفني أنت على شيء منه ، فرأيتَه يقف منه على ما يفهم ... »

هذه خلاصة رأي أبي حاتم في (المجاز) وما دار بينه وبين مروان ثم أحمد بن المعذل، وليته مثلما وقفهما على خطأ أبي عبيدة تكرم فوقفنا عليه نحن ، كي ننظر من أين دخل أبو حاتم على (المجاز) ونستطيع أن نقوم رأيه فنأخذ به أو نرده ببرهان مبين . لكنه لم يحقق لنا ما أردنا فتركنا في حيرة مع أن حيرتنا هذه يمكن لها أن تزول بالنظر في كتاب أبي عبيدة ما دام بين أيدينا ، وحيث

(١٥٢) طبقات الزبيدي ١٩٤ .

(١٥٣) أحمد بن المعذل بن غيلان، أخو عبد الصمد ، وكلاهما من شعراء الدولة العباسية ، قال الأصبهاني في ترجمته لعبد الصمد : « وكان أخوه أيضاً شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة » (الأغانى ٥٤/١٢) .

إننا قد نظرنا فيه وأشبعناه دراسة وبحثاً فإنه لم يظهر لنا فيه ما ظهر لأبي حاتم، وكلها وجهات نظر لا تعدم المؤيد والمعارض ، ولعل الأمر في وقتنا أخف منه في وقت أبي حاتم حيث كانوا حديثي عهد بهذا النوع من الدراسة للقرآن ، ومن هنا جاءت ملامتهم لأبي عبيدة واشتد نكيرهم عليه .

رابعاً : أبو عمر الجرمي : - من البصرة - تلميذ أبي عبيدة أيضاً -

يقول في ذلك : « أتيت أبا عبيدة بشيء من (المجاز) فقلت له : عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة ؟ فإن هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء ، فقال لي : هذا تفسير الأعراب البوألين على أعقابهم ، فإن شئت فخذة وإن شئت فذرهُ (١٥٤) » . هذا ما دار بينهما ، ولننظر إلى عبارة الجرمي : « فإن هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء » ومضمون هذه العبارة هو مفتاح القضية ، ومن خلاله تسرب النقد إلى أبي عبيدة ، فقد ظهر أبو عبيدة للناس - في جراحة تامة - بتفسير لم يألفوه ولم تنتهياً النفوس لقبوله لكنه يجيب تلميذه إجابة فيها قدر كبير من الثقة بالنفس والاعتناء بسلامة الطريق ، وفيها نبرة ظاهرة من الحدة المعروف بها أبو عبيدة بين تلاميذه وأقرانه .

هؤلاء الأربعة هم حاملو لواء معارضة الكتاب في البصرة ، وإن كانت الشهرة في ذلك للأصمعي وأبي حاتم .

خامساً : الفراء : من الكوفة - ، وتظهر لنا معارضته في قولته المشهورة :

« لو حمل لي أبو عبيدة لضربته عشرين في كتاب (المجاز) (١٥٥) » وامتدت هذه المعارضة فظهرت أصدائها في كتابه (معاني القرآن) ، فقد اعترض في

(١٥٤) طبقات الزبيدي ١٩٤ .

(١٥٥) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٥٥ .

كتابه (المعاني) على أبي عبيدة في حكمه بزيادة (لا) في قوله تعالى : (ولا الضالين) من سورة الفاتحة .

وقد تناولت هذه القضية ، وفصلت القول فيها عند حديثي عن (زيادة لا) في الدراسة النحوية - القسم الثاني من البحث .

أعود لما قاله الفراء في أبي عبيدة، وقيّمه أن يحمل إليه ليضربه بسبب كتابه، لأقول إن هذا القول من الفراء يعتبر من أغرب القول وأعظمه، فلو سلمنا جدلاً بوجهة اعتراض الأصمعي وأبي حاتم والجرمي، فكيف لنا أن نسلم باعتراض الفراء وهو صاحب كتاب مماثل لأبي عبيدة - إن لم يكن في كل شيء ففي الناحية التي تؤخذ على أبي عبيدة وهي فهم النص القرآني فهماً لغوياً بعيداً عن التأثير بالنواحي الدينية والفقهية ونحوها. يقول الأستاذ السيد أحمد خليل في حديثه عن أبي عبيدة والفراء : «وكلا الرجلين اتهم باتهامات كثيرة نتيجة اتجاهه في تفسير النص القرآني، ثم إن الفراء نفسه اتهم أبا عبيدة بأنه كان يؤثر الرأي في التفسير، وهذا الاتهام نفسه يمكن أن يوجه للفراء، إذ إن أساس هذا الاتهام هو فهم النص فهماً لغوياً بعيداً عن التأثير بدنيّات، قد لا تعطى لها الدلالة اللغوية، ولا يسعف على استنباطها من النص تركيبه الأدبي المعجز^(١٥٦)» .

فاعترض الفراء - في نظري - مبعثه المنافسة القائمة بين البلدين والمذهبين البصري والكوفي .

سادساً : الإمام أحمد بن حنبل^(١٥٧) - من بغداد - ، وله عندي نص

(١٥٦) دراسات في القرآن ٧٠ .

(١٥٧) أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) هو : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة ، أصله من مرو وولد في بغداد ، ونشأ في طلب العلم وسافر لذلك أسفاراً كثيرة ، امتحن في القول بخلق القرآن وسجنه المعتصم ٢٨ شهراً . له مؤلفات كثيرة أهمها : المسند (الأعلام ١ / ١٩٢) .

واحد، لا يتضمن اعتراضاً على أبي عبيدة وحده ، وإنما عليه مع الفراء ، ويتمثل ذلك فيما كتبه لأبي عبيد القاسم بن سلام عندما علم أنه سيؤلف كتاباً في القرآن حيث قال له : « بلغني أنك تكتب كتاباً في القرآن أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن ، فلا تفعل . فترك أبو عبيد الكتاب ، وكان قد انتهى إلى الأنبياء والحج ، وجاء بعده من أئمه (١٥٨) . ولم يوضح الإمام أحمد مأخذه على الكتابين أو وجه اعتراضه عليهما ، ولست أرى ذلك إلا انسجماً مع ما رآه العلماء المشار إليهم .

هذه خلاصة مواقف بعض العلماء المعاصرين لأبي عبيدة من كتابه (المجاز) وهي كما ترى مواقف سلبية ، وليس معنى ذلك أن الكتاب لم يحظ بمواقف إيجابية، فقد حظي بنصيب وافر ، ولكنني أرجأته للفقرة التالية وهي : أثر المجاز فيمن جاء بعده .

وقبل أن أدخل في الفقرة الجديدة ، أود التعقيب على اعتراضات هؤلاء العلماء الستة على منهج أبي عبيدة بكلمات قلائل ، وهي أن أبا عبيدة لم يكن بدعاً في هذا النهج - كما بينت سابقاً - فقد حفزه إليه قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويسره له عمل عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) .

ز - أثره فيمن جاء بعده :

في الفقرة السابقة أشرت إلى الأصداء الواسعة التي أحدثها كتاب أبي عبيدة وما أشرت إليه سابقاً تغلب عليه سمة الانتقاد السلبي ، وأحب هنا أن أتمم بما يشبه أن يكون إيجابياً وهو أثر كتاب أبي عبيدة في المؤلفات التي جاءت بعده ، وأفصل القول في ذلك على النحو التالي :

(١٥٨) رواية اللغة ١٨٩ ، ومقدمة عبدالجليل شليبي لـ (معاني الزجاج) ص ١ .

١ - أرى أن من ذلك ما سبق أن ذكرته عن الأخفش (- ٢١٥هـ) - فيما يرويه أبو حاتم - من أنه أخذ كتاب أبي عبيدة واستفاد منه وبنى عليه كتابه (المعاني) .

٢ - ومنه في نظري ما عمله أبو عبيد القاسم بن سلام (- ٢٢٤هـ) ، حيث جعل كتاب أبي عبيدة أساساً له يبني عليه كتابه حتى منعه الإمام أحمد بن حنبل وكان قد جاوز نصف القرآن ، وهذا ما يفسر لنا قول أبي الطيب اللغوي ^(١٥٩) : «إن كتاب أبي عبيد في غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة» .

٣ - البخاري (- ٢٥٦هـ) : في كتابه (الجامع الصحيح) فقد اعتمد على كتاب أبي عبيدة اعتماداً كبيراً ، كما كان (رحمه الله) يتلقى آراءه بالقبول ونادراً ما كان يعترض عليه ، كما كان يأخذ منه أحياناً دون إشارة ، وقد تصدى لبيان ذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري بكتابه فتح الباري ، وقد عمل الدكتور سزكين في ذلك دراسة مفصلة ، وأشار إلى نُقول البخاري من أبي عبيدة في هوامش (المجاز) وهي كثيرة جداً .

٤ - ابن قتيبة (- ٢٧٦هـ) : وقد استفاد منه كثيراً في كتابيه (المشكّل) و(الغريب) ، ونص على ذلك محقق الكتابين الأستاذ سيد صقر ^(١٦٠) . مع أن أثر أبي عبيدة ظاهر جداً في الكتابين وليس في حاجة إلى ما يدل عليه .

(١٥٩) مراتب النحويين ١٤٨ .

(١٦٠) مقدمة (غريب ابن قتيبة) ص ج .

- ٥ - الطبري (١٦١) (- ٣١٠هـ) : وقد استفاد منه في (تفسيره) كثيراً ،
ويكاد يكون قد فرغ كتاب (المجاز) في (تفسيره) ولكنه - مع ذلك - لم
يعرف له هذا الفضل وهذه السابقة فكان من أشد الناس قسوة عليه
وتسفيهاً لرأيه بأسلوب فيه شدة ، فتارة يقول : وقال بعض مدعي العلم
من أهل البصرة، وتارة يقول : قال بعض من يزعم العلم ... ، وتارة
يقول: وقال بعض من لا يعرف العربية ... إلى غير ذلك من أوصاف لا
تليق بهما معاً ، وقد تتبع الدكتور سزكين ذلك في هوامش (المجاز) فظهر
كثيراً جداً ، كما نبهت على كل ما مر بي من ذلك أثناء الدراسة النحوية .
- ٦ - الزجاج (- ٣١١هـ) : استفاد منه في كتابه (معاني القرآن وإعرابه)
وناقشه في بعض آرائه ، وقد نص على ذلك وتولى متابعتة في مواضعه
محقق (معاني الزجاج) الدكتور عبد الجليل شلبي (١٦٢) .
- ٧ - أبو عبدالله اليزيدي (١٦٣) (- ٣١١هـ) : استفاد منه في كتابه (غريب
القرآن) (١٦٤) .

(١٦١) الطبري : (٢٢٤ - ٣١٠هـ) : هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، المؤرخ المفسر ولد
في (آمل طبرستان) ، واستوطن بغداد وتوفي بها ، وكان عالماً فصيحاً ثقة مجتهداً ، له عدة
مصنفات أهمها : تاريخه وتفسيره المشهوران . (طبقات القراء ١ / ١١٤ ، الأعلام ٦ / ٢٩٤) .

(١٦٢) مقدمة (معاني الزجاج) .

(١٦٤) أبو عبدالله اليزيدي : (٢٢٨ - ٣١١هـ) : هو محمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدي ،
من كبار علماء بغداد ، اشتغل في آخر عمره بتأديب أولاد المقتدر العباسي . له عدة مؤلفات طبع
منها كتاب (الأمال) (نزهة الألباء ٣٣٤ ، الأعلام ٧ / ٥٢) .

(١٦٤) ذكر الدكتور سزكين في مقدمة المجاز ص ١٧ : أنه توجد نسخة من (غريب القرآن) لليزيدي ،
مخطوطة في مكتبة كوبرلي برقم ٢٠٥ .

وقد أشار إلى ذلك الدكتور سزكين (١٦٥) .

٨ - ابن دريد (١٦٦) (- ٣١١هـ) : في كتابه الجمهرة ، وقد استفاد منه في مواضع كثيرة لكنه - أحياناً - كان يقف موقف غير المقتنع من بعض تفسيرات أبي عبيدة (١٦٧) .

وقد سرد الدكتور سزكين أسماء بعض العلماء الذين استفادوا منه ، وأشار إلى مواضعها في هوامش (المجاز) فمنهم مثلاً : أبو بكر السجستاني (- ٣٣٠هـ) (١٦٨) في غريبه ، والنحاس (١٦٩) (- ٣٣٨هـ) في معانيه وإعرابه ، والأزهري (٣٧٠هـ) في تهذيبه ، والفارسي (- ٣٧٧هـ) في الحجة ... وغيرهم كثيرون. ثم قال : ومن أهم من استفاد من كتاب (المجاز) من المتأخرين ابن حجر

(١٦٥) لم أجد من نسب لليزيدي هذا ، كتاباً في (غريب القرآن) سوى الدكتور سزكين أما غيره من العلماء كابن النديم ٧٥ وصاحب النزهة ١٦٨ والقفطي ٢ / ١٣٤ ، فينسيون (غريب القرآن) لأبي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى اليزيدي ، وهو عم العباس والد هذا الذي معنا والذي ترجمنا له. متابعة للدكتور سزكين الذي اطلع على نسخة الكتاب .

(١٦٦) ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ) : هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني ، من أئمة اللغة والأدب . ولد في البصرة ، ثم انتقل إلى عمان ، ثم عاد إلى البصرة ، ثم رحل إلى فارس ثم إلى بغداد . من مؤلفاته: الجمهرة والاشتقاق . وهما مطبوعان . (النزهة ٢٥٦ والأعلام ٦ / ٣١٠) . (١٦٧) انظر الجمهرة : ١ / ٦٥ ، ٨١ ، ٩٥ ، ١٥٢ ، ٢٢١ - ٢ / ٢٦ - ٣ / ٩ ... وأبو عبيدة ... ص ١٨٨ .

(١٦٨) أبو بكر السجستاني (- ٣٣٠هـ) : هو محمد بن عزيز السجستاني ، مفسر مقيم في بغداد ، اشتهر بكتابه غريب القرآن المسمى بـ (نزهة القلوب) ، وقد طبع في كتاب صغير الحجم ، وهو مرتب على حروف المعجم (النزهة ٣١٤ ، الأعلام ٧ / ١٤٩) .

(١٦٩) النحاس (- ٣٣٨هـ) : هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري ، مفسر نحوي أديب ، ولد ومات بمصر ، زار العراق واجتمع بعلمائه ، له عدة مؤلفات ، طبع منها : إعراب القرآن ، وشرح أبيات سيبويه وناسخ القرآن ومنسوخه ومعاني القرآن (النزهة ٢٩١ ، والأعلام ١ / ١٩٩) .

حجر العسقلاني في (فتح الباري) . وما قاله الدكتور سزكين حقيقة واقعة فقد تتبعته (فتح الباري) وبخاصة (الجزء الثامن) المشتغل على التفسير ، فوجدت اسم أبي عبيدة تكرر في كل صفحة ، وقد يرد في الصفحة الواحدة أكثر من مرة ، وقد أشار الدكتور سزكين إلى مواطن ذلك في الهوامش .

وهناك علماء كثيرون استفادوا من (مجاز) أبي عبيدة ، فات الدكتور سزكين الإشارة إليهم ، ولعل أهمهم - في نظري - ابن الجوزي (١٧٠) (-٥٩٧هـ) في تفسيره (زاد المسير) فإن استفادته من (المجاز) فاقت - فيما أرى - من قبله ومن بعده ، ولا أبالغ إذا قلت إن (مجاز) أبي عبيدة بأكمله وينصه موجود في (زاد المسير) لابن الجوزي ، ومن حسنات ابن الجوزي أنه ينص على اسم أبي عبيدة في كل ما ينقله عنه ، ولقد بدا لي أن ثقة ابن الجوزي بأبي عبيدة كبيرة إذ كان كثيراً ما يجعل رأي أبي عبيدة هو القول الفصل في كثير من الآيات ، كما كان غالباً ما يقتصر عليه في التفسير دون أن يعقب عليه ، ولقد فكرت أن أدل على مواطن ذلك في كتابه ، لكنني رأيت أن ذلك جهد لا طائل تحته ، لأن الكتاب بمجلداته التسعة لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من رأي أو اثنين أو ثلاثة لأبي عبيدة ، علماً بأنني قد أشرت إلى ذلك في الدراسة النحوية المفصلة في القسم الثاني من الرسالة .

(١٧٠) ابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ) هو : أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي علامة عصره في التاريخ والحديث والتفسير ، مولده ووفاته ببغداد ، له نحو ثلاثمائة مصنف ، طبع منها عدد كثير مثل : زاد المسير في علم التفسير ، والمنتظم في التاريخ ، والأذكياء ، وصيد الخاطر . (الأعلام ٤ / ٨٩) .

على أني أعود لأدفع اللوم عن الدكتور سزكين فيما يتعلق بعدم إشارته إلى استفادة ابن الجوزي من (مجاز القرآن) ، ذلك أن (زاد المسير) لم يطبع إلا بعد فراغ الدكتور سزكين من تحقيق (المجاز) بسنين، ولا ينتظر من الدكتور سزكين - ولا من غيره - الإحاطة بكل ما هو مطبوع ومخطوط مما له صلة بالموضوع المدروس .

هذه خلاصة الحديث حول كتاب (مجاز القرآن) ، لأبي عبيدة ، وقد لا تكون هذه الصفحات وافية كل الوفاء بكل ما يراد معرفته عن الكتاب ، ولكن يخفف من ذلك أن الكتاب مطبوع ومتداول في مجلدين ، وقد خدمه محققه خدمة جيدة ، فقدم له بمقدمة مختصرة لكنها جيدة ودالة ، وبذل في تحرير النص جهداً مشكوراً ، وأمدّه بحواشٍ ضافية خرج فيها الأحاديث والأمثال والشواهد الشعرية وعرف فيها بأعلام الكتاب ، وعمل فيها مقابلات بين آراء أبي عبيدة وغيره من العلماء ، وأشار فيها إلى آراء أبي عبيدة وموقعها فيما تلاه من المؤلفات . وختم الكتاب بستة فهارس جيدة وضافية . وحيث إنه قد طبع كتابه في القاهرة بينما كان هو بعيداً عنه في تركيا . فقد حدث فيه عدة أخطاء ولذا فقد عمل في آخره جدولاً لتصويب الأخطاء . ولكن ومع ذلك فقد عثرت على أخطاء أخرى لم ينتبه لها فلم يتضمنها جدولته الذي عمله لذلك ، وقد أشرت إليها في مواضعها أثناء الدراسة النحوية في القسم الثاني من الرسالة.

فهرس المراجع

- ١ - أبو عبيدة معمر بن المثنى - رسالة دكتوراه - (مخطوطة) للدكتور نهاد موسى .
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن - للسيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - توزيع دار الفكر - بيروت ، لبنان .
- ٣ - أثر القرآن في تطور النقد العربي - للدكتور محمد زغلول سلام - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة .
- ٤ - إحياء النحو - لإبراهيم مصطفى - مطبعة لجنة التأليف ... - القاهرة ١٩٥٩م .
- ٥ - أخبار النحويين البصريين - للسيرافي / تحقيق الزيني والحفاجي / الطبعة الأولى / مصطفى الحلبي .
- ٦ - إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين - لأبي المحاسن عبد الباقي القرشي (مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٢٣٨ عمومي ، و ١٦١٢ خصوصي تاريخ) .
- ٧ - الأصمعي - للدكتور أحمد كمال زكي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .
- ٨ - الأعلام - للزركلي - الطبعة الثالثة - بيروت ١٣٨٩هـ .
- ٩ - الأغاني - للأصبهاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٠ - إنباه الرواة - للقفطي - تحقيق أبو الفضل إبراهيم ١٣٦٩هـ - القاهرة - دار الكتب المصرية .
- ١١ - الإيمان - لابن تيمية - المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨١هـ .
- ١٢ - بديع القرآن - لابن أبي الأصعب - تحقيق حفني شرف - الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - مكتبة نهضة مصر بالفعالة .
- ١٣ - بغية الوعاة - للسيوطي - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى - مطبعة عيسى البابي الحلبي - بمصر .
- ١٤ - البلاغة تطور وتاريخ - للدكتور شوقي ضيف - ١٩٦٥م - دار المعارف بمصر .

- ١٥- البلاغة العربية في دور نشأتها - للدكتور سيد نوفل - مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.
- ١٦- البيان العربي - للدكتور بدوي طبانة - الطبعة الثانية - مكتب الأنجلو المصرية .
- ١٧- البيان والتبيين - للجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون - الطبعة الرابعة - مكتبة الخانجي بمصر .
- ١٨- تاريخ الأدب العربي - لبروكلمان - الطبعة الثالثة - ترجمة عبدالحليم النجار - دار المعارف بمصر .
- ١٩- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - مكتبة الخانجي بالقاهرة ، والمكتبة العربية ببغداد ١٣٤٩هـ .
- ٢٠- تاريخ الطبري - للطبري - دار القلم - بيروت ، لبنان .
- ٢١- تأويل مشكل القرآن - لابن قتيبة - تحقيق سيد صقر - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - دار التراث بالقاهرة .
- ٢٢- تجديد ذكرى أبي العلاء - لطف حسين - الطبعة السادسة - دار المعارف بمصر ١٩٦٣م.
- ٢٣ - تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة - تحقيق سيد صقر - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٨هـ .
- ٢٤- تلخيص مجازات القرآن - للشريف الرضي - تحقيق محمد عبدالغني حسن - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٥م .
- ٢٥- جمهرة اللغة - لابن دريد - الطبعة الأولى - حيدر آباد ١٣٤٥هـ .
- ٢٦- الحيوان - للجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون - الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي - القاهرة .
- ٢٧- خزانة الأدب - للبغدادي - (بولاق) . وطبعة عبدالسلام هارون - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢٨- دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة إبراهيم خورشيد وزملائه - دار الشعب - القاهرة.
- ٢٩- دراسات في القرآن - للدكتور سيد أحمد خليل - دار المعارف بمصر .

- ٣٠- الدولة العباسية - للخضري - المكتبة التجارية الكبرى بمصر - ١٩٧٠ م .
- ٣١- ديوان امرئ القيس - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- ٣٢- ديوان حسان بن ثابت - تحقيق دكتور سيد حنفي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ .
- ٣٣- رواية اللغة - لعبد الحميد الشلقاني - دار المعارف بمصر .
- ٣٤- السيرة النبوية - لابن هشام - تحقيق طه عبدالرؤوف سعد - مطبوعات مكتبة الحاج عبدالسلام شقرون .
- ٣٥- شرح الكافية - للرضي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - نشر دارالباز بمكة .
- ٣٦- ضحى الإسلام - لأحمد أمين - الطبعة السابعة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٣٧- طبقات فحول الشعراء - لابن سلام الجمحي - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة .
- ٣٨- طبقات القراء - لابن الجزري - باعتناء برجستراسر - الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .
- ٣٩- طبقات المفسرين - للدواودي - تحقيق علي محمد عمر - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة - القاهرة ١٣٩٢هـ .
- ٤٠- طبقات النحويين واللغويين - للزبيدي - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - نشر الخانجي بمصر .
- ٤١- طبقات النحويين واللغويين - لابن شعبة - (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور) .
- ٤٢- العصر العباسي الأول - لشوقي ضيف - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- ٤٣- غريب القرآن - للسجستاني - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة ١٣٨٢هـ .
- ٤٤- الفاضل - للمبرد - تحقيق عبدالعزيز اليميني - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٧٥هـ .

- ٤٥- الفهرست - لابن النديم - دار المعرفة - بيروت - لبنان - نشر دار الباز بمكة المكرمة.
- ٤٦- فهرست ابن خير - لابن خير الأشبيلي - تحقيق الشيخ فرنسشكه قدارة وتلميذه - الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ، والخانجي بالقاهرة ، والمكتب التجاري ببيروت .
- ٤٧- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية - لعبدالعال مكرم - دار المعارف بمصر .
- ٤٨- الكامل - للمبرد - تحقيق أبو الفضل إبراهيم وزميله - مكتبة ومطبعة نهضة مصر - القاهرة ١٣٧٦هـ .
- ٤٩- اللمع في أصول الفقه - للشيرازي - تحقيق محمد ياسين - مكة .
- ٥٠- مجالس ثعلب - لثعلب - تحقيق عبدالسلام هارون - النشرة الثانية - دار المعارف بمصر.
- ٥١- مجلة الكاتب المصري - مقال للدكتور طه الحاجري : مجلد ٢ - عدد ٦ و ٧ - ١٩٤٦م.
- ٥٢- مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية - مقال للدكتور طه الحاجري - مجلد ٥ - ١٩٤٩م.
- ٥٣- مجلة الهلال - السنة ٤٤ - لعام ١٩٣٦م - ٥ / ٥٤٥ .
- ٥٤- مراتب النحويين - لأبي الطيب اللغوي - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - دار نهضة مصر - القاهرة .
- ٥٥- المعارف - لابن قتيبة - تحقيق ثروت عكاشة - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
- ٥٦- معاني القرآن - للأخفش - تحقيق فائز فارس - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - الطبعة العصرية بالكويت .
- ٥٧- معاني القرآن - للزجاج - تحقيق عبدالجليل شلبي - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
- ٥٨- معاني القرآن - للقرءاء - تحقيق محمد علي النجار وزملائه - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .
- ٥٩- معجم الأدباء - لياقوت الحموي - مطبوعات دار المأمون .
- ٦٠- المعجم العربي - لحسين نصار - الطبعة الثانية ١٩٦٨م - دار مصر للطباعة .

- ٦١- معجم غريب القرآن - لابن عباس - وضعه محمد فؤاد عبدالباقى - الطبعة الثانية - عيسى الحلبي - القاهرة .
- ٦٢- معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة - ١٣٧٦هـ - نشر مكتبة المثنى ببيروت ، ودار إحياء التراث ببيروت .
- ٦٣- مفتاح السعادة - لطاش كبرى زادة - الطبعة الأولى - حيدر آباد - الهند .
- ٦٤- مقالات الإسلاميين - للأشعري - تحقيق محي الدين عبدالحميد - مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٩هـ .
- ٦٥- مقدمة في النقد العربي - لمحمد حسن عبدالله - الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ - دار البحوث العلمية - الكويت .
- ٦٦- مناهج بلاغية - لأحمد مطلوب - نشر وكالة المطبوعات بالكويت .
- ٦٧- مناهج تجديد - لأمين الخولي - الطبعة الأولى ١٩٦١م - دار المعرفة .
- ٦٨- منهج الأخفش الأوسط - لعبد الأمير الورد - نشر مؤسسة الأعلمي ببيروت ، ودار التربية ببغداد .
- ٦٩- نزهة الألباء - لابن الأنباري - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - القاهرة ١٣٨٦هـ .
- ٧٠- نوادر المخطوطات - لعبد السلام هارون - القاهرة ١٣٧٤هـ - مكتبة الخانجي .
- ٧١- نورالقبس - لليغموري - تحقيق رودلف زلهاييم - نشر فرانكس شتاينر بغيسبادن - ١٣٨٤هـ .
- ٧٢- الوسائل للسيوطي .
- ٧٣- الوسيط في الأدب العربي - لأحمد الإسكندري ، ومصطفى عناني - الطبعة الثامنة عشرة - دار المعارف بمصر .
- ٧٤- وفيات الأعيان - لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت، لبنان.